المنهج التعليمي في كتاب الجمل للخليل بن أحمد

د/ عبد المنعم محمود عبد المنعم (*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم..

فللنحو العربي مكانة سامية في اللغة العربية، أسسه علماء أجلاء، واقتفى أثرهم فريق أخذ على عاتقه إتمام البناء، فرسموا بمصنفاتهم نتاجاً علمياً ضخماً، بلغ عنان السماء، بيد أن هذا النتاج النحوي انقسم صنفين: أولهما: نتاج علمي نظري، يعني بالقواعد المجردة التي تضبط النظام اللغوي كله، والغرض منه بيان ما يمكن أن يسمى فلسفة النحو، نحو: كتاب (علل النحو) للوراق (ت ٣٢٥هـ)، والإيضاح في علل النحو للزجاجي (ت ٣٣٨هـ)، والخصائص لابن جني (ت ٣٩٢هـ).. الخ.

والصنف الآخر نتاج تعليمي وهو الغالب، ذو طابع تطبيقي، ويهدف إلى تمكين الدارس من استعمال اللغة استعمالاً صحيحاً في جميع مستوياتها، وعرض أبواب النحو ومسائله؛ حتى يتسنى للدارسين الوقوف عليها، أملاً في استيعابها ومراعاتها عندما يتكلمون أو يكتبون، أو يقرءون، وقد أكدت الروايات المختلفة على أن وضع النحو كان لغرض تعليمي، ولذا اتسمت أكثر المصنّفات النحوية بهذه السمة التعليمية بما في ذلك المطولات والمختصرات، والاختلاف بينهما يكون في عرض المسائل النحوية، واختلاف أنماط التبويب والترتيب، ومن ثم يمكن القول بأن هذين النتاجين من التصنيف قد يتداخلان ولا يمكن الفصل بينهما(١).

ولعل الخليل بن أحمد في طليعة علماء العربية الذين عنوا بالنحو التعليمي، وكان رائداً في هذا الباب ونسيج وحده، ثم ائتم به من جاء بعده يخطو

(*) (حاصل على الدكتوراه في الدراسات اللغوية – كلية الآداب – جامعة بنها).

(١) ينظر: النحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه، أ. د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، ط٢، ٢٠١٦م: ١٥.

خطاه، فأصبح منهجه التعليمي الذي رسمه قريباً لمناهج اللسانيات الحديثة وأهداف التربية والتعليم في العصر الحديث.

فكان هذا البحث: (المنهج التعليمي في كتاب الجمل للخليل بن أحمد) ضالتي، لإبراز إسهامات الخليل مع هذا الجانب الذي يضاف إلى جوانب عدة أبدع فيها الخليل، وكان رائدها على الإطلاق، فكتاب الجمل أول كتاب وصل إلينا في النحو، بل هو أول مؤلَّف مختصر، والذي عنى فيه الخليل بإعراب الجمل، وقال عنه في مقدمة كتابه: "فمن عرف هذه الوجوه، بعد نظره فيما صنَّفناه من مختصر النحو قبل هذا، استغنى عن كثير من كتب النحو"(١).

وقد بُني هذا البحث على مقدمة، بينت فيها أهمية النحو العربي، فتمهيد عرض لحياة الخليل متعلماً، ومعلماً ومربياً، ثم الأسس التي بنى عليها الخليل منهجه التعليمي، ثم نتائج البحث، وأخيراً المصادر والمراجع.

وقبل الخوض في غمار هذا البحث يوجد إشارتان:

الأولى: أن البحث اعتمد على كتاب الجمل بتحقيق الأستاذ الدكتور فخر الدين قباوة [ط١، ١٩٨٥م].

الأخرى: سبق هذه الدراسة بحث صغير وُسم بـ: منهج الخليل بن أحمد في تأسيس القواعد النحوية من خلال كتاب الجمل في النحو، وقع في عشرين صفحة، للباحث/ محمد عدنان فخري مدرس اللغة العربية في مدرسة القرآن الشهيد بإندونيسيا، تحدث عن سيرة الخليل بن أحمد، ولمحة عامة عن كتاب الجمل ومحقق الكتاب، وأسلوبه بشكل مقتضب، وجهود الخليل في مجال الأصوات، والصرف والنحو، والمعجم، والعروض وبعض من آرائه النحوية ومنهجه، كل ذلك بشكل مقتضب، وأرى أن الباحث ابتعد عن منهجه الذي خطه في عنوان بحثه.

(١) الجمل في النحو: الخليل بن أحمد، ت/ د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٥م، ٣٣.

التمهيد:

– حياة الخليل العلمية:

هو "أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، ويُقال: الفرهودي الأزدي اليحمدي، كان إماماً في النحو، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود، وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً، ثم زاد فيه الأخفش بحراً آخر وسمّاه الخَبَبَ، وقيل: إن الخليل دعا بمكة أن يُرزق علماً لم يسبقه أحد إليه، ولا يؤخذ عنه، فرجع من حَجَّه، ففتح عليه بعلم العروض، وله معرفة بالإيقاع والنغم، وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض"(١).

وُلد سنة مائة للهجرة، واختلف في تاريخ وفاته والأقرب هو (١٧٥هـ)، وقد أفاضت كتب التراجم عنه بالإضافة لمن كتب في مصنفاته، فالأحرى الرجوع لتلك التراجم في مظانها منعاً للإطالة.

ولعله من المفيد أن نلقي الضوء على حياة الخليل العلمية ذات الصلة بموضوع البحث مائلين عن الجوانب الأخرى من حياته، والتي يكتنفها الغموض، والتي سكت عنها التاريخ، ولحياة الخليل العلمية شقان: شق التلمذة وفيه نتعرف الخليل بن أحمد دارساً، وشق الأستاذية وفيه نتعرف الخليل بن أحمد معلماً ومربياً.

أولاً: الخليل دارساً:

نشأ الخليل بن أحمد في البصرة على حب العلم، وكان بها مركزان يسطع منها نور المعرفة والعلم وهما المساجد وسوق المربد، أخذ الخليل يتنقل بين حلقات العلم، يحدوه حب المعرفة، فتأثر الخليل بالزائرين إلى البصرة من العلماء والأدباء

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (٦٨١هـ)، ت/ د. إحسان عباس، دار صادر– بيروت، ٢/ ٢٤٤– ٤٢٨، وينظر: مراتب النحويين، لأبي الطيب (ت ٣٥١هـ)، ت/ محمد أبو الفضل، مكتبة نهضة مصر، ٢٧– ٤٦، وأخبار النحويين البصريين، للسيرافي (٣٦٨هـ) ت/ طه الزيني، ومحمد خفاجي، مطبعة مصطفى الحلبي، ط١، ١٩٥٥م، ٣٠– ٣١، وينظر: طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي (ت ٣٧٩هـ)، ت/ محمد أبو الفضل، دار المعارف، ط٢، ٤٧– ٥١.
وينظر: طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي (٢٣١هـ)، شرح: محمود محمد شاكر، ١٩٧٤، ٢٢، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، شرحه: محمد جاد المولى وآخرون، المكتبة العصرية– بيروت، ١/ ٨٠– ٩٢.

والشعراء، حتى الأعاجم الذين دخلوها للتجارة بكل ما يحملون من عادات وتقاليد وأفكار، فتأثر بهم تأثر الواعي الذي يهضم كل الثقافات ثم يحيلها إلى فكر عبقري.

كان الخليل لا يعرف التكبر، فيأخذ العلم من كل معين، ويهرول إليه إن استطاع إلى ذلك سبيلاً، فمن أقواله: "تربع الجهل بين الحياء والكبر في العلم"، "من استغنى بما عنده جهل، ومن ضمّ إلى علمه علم غيره، كان من الموصوفين بنعت الربانيين".

الخليل تلميذ شغوف يحب العلم، ولا يعرف زمناً لانقضاء طلبه؛ فما برح يطلب العلم صغيراً وكبيراً يعكف عليه، لا يطلب من الدنيا شيئاً غير العلم والمعرفة، يؤمن بأن الإنسان الحق لابد أن يطور من نفسه، فمن أقواله: "العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، ثم أنت بإعطائه إياك بعضه مع إعطائك إياه كلك على خطر".

بهذا الحب الشديد للعلم جعله: "أعلم الناس وأذكاهم، وأفضل الناس وأتقاهم" "ولم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد، ولا أجمع، ولا كان في العَجَم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع"، واجتمع عدد من الأدباء فتذاكروا أمر علمائهم" فجعل أهل كل بلد يرفعون علماءهم ويصفونهم، ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل، فلم يبقَ أحد إلا قال: الخليل أذكى العرب، وهو مفتاح العلوم ومصرفها"[1].

---

(١) ينظر في هذا: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن عماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، ت/ عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير- دمشق- بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ٢/ ٣٢١-٣٢٤.

وطبقات النحويين: ٤٨، وأخبار النحويين البصريين: ٣٠، ومراتب النحويين: ٢٩.

والخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه، مطبعة الزهراء- بغداد، ١٩٦٠، ٥٣، وما بعدها.

والخليل بن أحمد الفراهيدي: العالم العبقري، د. محمد بن صالح، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٥م، ٢٤.

ومعجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، ت/ د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣، /١٢٦٠.

ثانياً: الخليل معلماً ومربياً:

يستوقفنا في حياة الخليل بعض الإشارات التربوية والتي حكاها أصحاب التراجم، ندلل به على أستاذية الخليل كمعلم ومربي بارع سبق علماء الدنيا في هذا المجال، ولحق بأئمة التربويين في العصر الحديث.

١– الصبر على تعليم الآخرين:

عندما ابتكر علم العروض، وقف يعلم الناس الذين يطلبونه حيناً من الدهر غير آسف على عدم فهم بعضهم للعروض، فقال للأصمعي ذات يوم:

إذا لـــم تســـتطع شـــيئاً فدعـــه وجـــاوزه إلـــى مـــا تســـتطيعُ"

وفيه إشارة إلى مبدأ التخصص والذي يلائم ميول الدارس وطبيعته، وهو ما تنادي به النظريات التربوية(١).

٢– عزة النفس والاعتداد بالعلم:

عندما أرسل إليه الأمير سليمان بن حبيب المهلبي– وكان قريباً للخليل؛ لأنه من قبيلة أزد– ليعلم أولاده ويؤدبهم وحمل الأمير إليه أموالاً وهدايا كثيرة، فرفض كل ذلك الخليل، ورفض الذهاب معه برغم من شدة فقره واحتياج أسرته لهذا العمل، وهذه الأموال.

فلما عذله صديقه أبو المعلى عن فعله قال له: "كفاك يا أبا المعلى، هذا كلام من لا يفقه ما يقول، أتعذلني على أني رفضت مالاً لم أفعل شيئاً أستحقه به ..... لست أزهد في المال؛ لأني أكره النعمة، ولكني أريده خالصاً من العبودية صافياً من دنس التحكم، حقاً لا مماراة فيه، وأجراً لابد منه، يا صاحبي لن أبيع علمي وعزتي وعقلي بالمال مهما كثر، ولن أكون عبداً إلا لخالقي"(٢).

٣– إعمال العقل وتعلم اللغات:

عندما اشتهر الخليل، وتفاخر العرب به على العجم، أراد أحد الملوك الأعاجم أن يمتحنه في اليونانية، فأرسل إليه رسالة ليقرأها ويرد عليها، ولا علم للخليل من قبل باليونانية، فاختلى الخليل بنفسه بعض الوقت وخرج وقد فهم الرسالة وترجمها، ولما سُئل كيف ذلك؟ وكان السائل كيسان أحد تلامذته، قال

(١) ينظر: وفيات الأعيان: ٢٤٧/٢. وينظر: قصة عبقري: يوسف العش، دار المعارف، ٥٧.

(٢) طبقات النحويين: ٤٧، وقصة عبقري: ٦٦.

الخليل: "ويحك ياكيسان! ولماذا: أعطانا الله العقل والفكر؟ أليس لنستفيد منهما، فنخرج بهما من المآزق التي لا ينكشف أمرها بدونهما"(١).

٤- فضل العلم والعلماء:

قال أحد تلاميذ الخليل له يوماً "أليس المال أفضل من العلم، إذ يجلبه ويسببه؟ قال: كلا، ما هو أفضل منه، والعلم هو الذي يجلب المال، ولا شيء يعدل العلم ويفضله، فقال: ولا الملوك والأمراء؟ قال الخليل: لا الملوك ولا الأمراء، ولا غيرهم يفضلون العلماء.."، ومن كلامه الذي صار حكمة ومثلاً في أصناف الرجال:

"الرجال أربعة: فرجل يدري ويدري أنه يدري، فذلك عالم فا سألوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذلك غافل فأيقظوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري، فذلك جاهل فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذلك مائق جداً أحمق فارفضوه"(٢).

٥- الأناة والحلم والعقل:

ممّا يروى عن الخليل أن بعض الجهلاء والذي لا يعرف قدره عاب الخليل في أخلاقه وأنه لا يستحق أن يعلم الناس، فأراد أصحاب الخليل تأديبه ولكنه نهرهم ثم نصح الخليل هذا الجاهل، وقال: "اسمع قولي يا بني واحفظه، وإليك هو:

اعْمل بعلمي ولا تنظر إلى عملي ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري"(٣)

وفي ضرورة التفكر والتأني في الإجابة على المسائل قبل الرد والقطع فيها، يقول الخليل: "إن المجيب يفكر قبل الجواب، وقبيح أن يفكر بعده، وقال: ما أجيب بجواب حتى أعرف ما عليّ فيه من الاعتراضات والمؤاخذات"(٤).

---

(١) طبقات النحويين: ٥١، وينظر: قصة عبقري، ٧٥.

(٢) معجم الأدباء، ١٢٦٤، وقصة عبقري: ٨٨.

(٣) طبقات النحويين: ٤٧، وينظر: قصة عبقري: ٩٤.

(٤) شذرات الذهب: ٢/ ٣٢٢.

٦- التفرغ لطلب العلم والتأمل والتفكر:

وهب الخليل حياته للعلم إرضاء لله عز وجل، فأثمر ذلك الانقطاع علماً سبق به علماء الدنيا والتفرغ للبحث والمعرفة محل اهتمام المؤسسات التعليمية والتربوية في العصر الحاضر، فمن أقواله في هذا الشأن:

"إني لأغلق عليَّ بابي فيما يجاوزه همّي"، "اعطِ للعلم كلك يعطك بعضه"، وقال تلميذه النضر بن شميل: "أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين، وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال"(١).

إن إبداعات الخليل العلمية كلها كانت نتيجة للتأمل والتفكر والتدبر(٢).

الأسس التي بنى عليها الخليل منهجه التعليمي:

لقد بنى الخليل نحوه التعليمي على أساسين شامخين أفرز هذا المصنّف الذي بين أيدينا وهذان الأساسان هما: طريقة عرض الموضوعات والأسلوب العلمي.

أ- طريقة عرض الموضوعات:

لقد اتبع الخليل في مصنّفه طريقة تؤسس للمنهج التعليمي، وتدعو الباحثين والدارسين جميعهم إلى تأمل التراث عامة، وإلى ميراث الخليل خاصة في مدى الاستفادة من معطياتهم، ونتائج مصنفاتهم، فلقد أدرك الخليل الفرق- وإن لم يصرح بذلك- بين النحو العلمي والتعليمي.

ويجب القول: إن الخليل جمع بين النحو العلمي والتعليمي، ولكنه لم يشأ تقديم كل النحو فهو على علم بما يقدم. وكما أسلفنا القول فإنه أراد أن يقدم مختصراً في النحو: "إذ ليست كل البني النحوية متساوية من حيث الشيوع، ولا من حيث التوزيع، ولا من حيث قابلية التعلم والتعليم، هناك بني بسيطة، وأخرى مركبة، وهناك بني مركزية لا يستغنى عنها الاستعمال اللغوي، وأخرى هامشية... وهكذا"(٣). لذلك كان كتاب الجمل كتاباً تعليمياً، وليس الغرض منه عرض كل المحتوى النحوي- والخليل قادر على ذلك بالطبع- وإنما اعتنى فيه بوجوه الإعراب: الرفع والنصب والجرّ والجزم، كما أنه ابتعد عن التقدير والتأويل، ولم يعرض لكثير من الأبواب النحوية كالتنازع والاشتغال... الخ.

---

(١) وفيات الأعيان: ٢٤٥.

(٢) ينظر الخليل بن أحمد، العالم العبقري: ٥٤.

(٣) علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م، ص٧١.

والطريقة التي نقصدها عند الخليل، هي الإجراءات التي قدمها لإيصال المادة العلمية للمتعلمين، والكيفية التي انتظمت من خلالها مادة الخليل العلمية.

مع ملاحظة أن الطريقة التي اتبعها الخليل قائمة على الأسس التربوية الحديثة، قائمة على التركيز والوضوح، وشحذ الأذهان، وعدم إرهاق المتعلم، طريقة تلبي احتياجات المتعلم، وتحقق الأهداف المرجوّة، والغاية المقصودة في أقل وقت وأيسر جهد. لقد كان الخليل بن أحمد سابقاً زمنه؛ إذ بالرغم من أنه مؤسس لعلم النحو، محيط بكل دقائقه، نجده بارعاً في تدريس مادته، فجعلها مادة حيّة، ففرّق بين التمكن من المادة النحوية، والقدرة على تدريسها، ومن ثم الوصول للأهداف المنشودة[1].

ويقوم عرض المتن النحوي التعليمي على محاور يمكن إجمالها فيما يلي:

١- المصطلح النحوي والتعريفات والعنوانات.
٢- الأصول النحوية.
٣- البعد عن الخلاف النحوي وجدله.
٤- نظرية العامل والبعد التعليمي.
٥- الشرح والتفسير.
٦- الاختصار والإيجاز.
٧- محتوى الكتاب وتنسيقه ووسائل الربط بين أجزائه.

(١) ينظر: اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، د. سعد علي زاير، د. سماء تركي، الدار المنهجية للنشر، ط١، ٢٠١٥م، ص١٣٢، وما بعدها.

أولاً: المصطلح النحوي والتعريفات:

إن المصطلح بصفة عامة يعني: اتفاق جماعة على أمر مخصوص، وإذا عنينا المصطلح النحوي خاصة، فإنما نعني اتفاق أو تواطؤ، أو تصالح جماعة من النحاة فيما بينهم لصنع مصطلح(١) نحوي، أو إنه كل ما دلَّ على مفهوم معين في مجال معرفي سواء أكان كلمة مفردة أم تركيباً، أو مفهوماً في مرحلة التكوين، وقد أطلق عليه أستاذنا الدكتور محمد إبراهيم عبادة "أجنّة مصطلحات"، وهي محاولة للتعبير عن مفهوم ثم يتحول إلى صياغة مصطلحية يصقلها الاستعمال فيما بعد(٢).

إن جُلّ المصطلحات النحوية التي شاعت واستقرت في الدرس النحوي إنما هي للخليل بن أحمد فقد بدأت به وإلى حد ما انتهت إليه، أما قولنا قد بدأت به فلا يعلم على وجه الحقيقة والثبوت أن هناك مصطلحات وجدت قبل الخليل، ولاسيما ضياع التراث النحوي قبل الخليل، وجلّ المصطلحات الواردة في كتاب سيبويه والتي استقرت في الدرس النحوي هي أيضاً عن الخليل، أما قولنا انتهت إليه، فإن المصطلحات النحوية الواردة في كتب النحاة اللاحقين هي عن الخليل الواردة في كتابيه: العين والجمل باستثناء بعض المصطلحات القليلة التي لم تشع لعدم الاستعمال، فلربما لم يدر بخلد الخليل حين قال هذه المصطلحات أن يجعل استعمالها أمراً مقضياً(٣).

فإن الباحث يذهب مطمئناً بأن الخليل هو الذي أسس للمصطلحات النحوية، وأن النحو لم يتخذ اصطلاحاته العلمية إلا على يديه، وأنه أسسه على قواعد وأصول ثابتة(٤) ولا يقدح في هذا بعض المصطلحات التي لم تأخذ طابع الاستقرار؛ لأننا بإزاء بناء صرح نحوي شامخ، شأن كل العلوم في مهدها.

أما بالنسبة للتعريفات فلم تظهر إلا في موضعين من كتاب الجمل، أما أولهما عند التعجب، يقول: "وحد التعجب ما يجده الإنسان من نفسه، عند خروج

---

(١) ينظر: المصطلح النحوي: نشأته وتطوره حتى أواخر ق ٣ هـ، د. عوض بن حمد القوزي، جامعة الرياض، ط١، ١٩٨١م، ص٢٢.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات في كتاب العين، أ. د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، ٢٠٢٠م، ٣١.

(٣) ينظر: سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، عالم الكتب، ط٢، ١٩٧٩م، ١٧٢.

(٤) ينظر: المصطلح النحوي: نشأته وتطوره، ص٨٨.

الشيء من عادته"، والثاني عند تعريف الإغراء، يقول: "ومعنى الإغراء الزم واحفظ"[1].

لقد أراد الخليل أن يكون مصنّفه تعليمياً فلم يشأ إغراق المتعلم بالحدود وكثرة التعريفات، فلقد أراد أن يكون المصطلح قريباً سهل المنال، فلم يبتعد الخليل عن المعنى اللغوي في وضعه للمصطلح، فالهدف الأساسي عنده هو الولوج للمسألة النحوية وسبر أغوارها، والإحاطة بها، ومن ثم فهمها، والوقوف على الصحيح من اللغة ودليل ذلك أننا نجد أحياناً عند الخليل وصفاً لمصطلحات، وليس مصطلحاً كاملاً مستقراً، وسار على ذلك سيبويه أيضاً، ودليل آخر، أنه يعبر عن المسألة النحوية بأكثر من مصطلح، وسار أيضاً تلميذه سيبويه في هذا الدرب[2] ولكن كل ذلك لا يقدح في أن المصطلح النحوي بلغ عند الخليل شأواً عظيماً.

وفي كتاب الجمل نلاحظ عناية الخليل ببيان وجوه الإعراب، وهذا في حد ذاته هدف تعليمي؛ ولذلك جاءت عنوانات الكتاب في هذا الإطار، وقد اختلف هذا الكتاب في عرضه لمسائل النحو عن المصنفات الأخرى القائمة على المعمولات، والقائمة على العوامل، ولم يتقيد بالوظائف النحوية المرتبطة بعرض المسائل في أبواب، فجاءت عنواناته أحياناً مرتبطة بالعامل "كالنصب بإن وأخواتها، والنصب بخبر كان" وجاءت أحياناً مرتبطة بالأبواب النحوية "كالرفع بالفاعل" والمبتدأ والخبر... الخ. وأحياناً مرتبطة بالدلالة "كالنصب بالإغراء"، و"النصب بالتحذير"، "والنصب بالذم"... الخ.

هذا الهدف التعليمي القائم على بيان وجوه الإعراب وتفسيرها جعل العنوانات جزئية؛ لأنه يعرض هذه الوجوه وجهاً وجهاً؛ حتى يتمكن المتعلم من إتقان المسألة النحوية محل المناقشة، وتأكيداً لذلك، إن الخليل وصل مصطلحاته وعنواناته بالشرح مباشرة، فبعد العنوان مباشرة يقول: "كقولك كذا" أو "قولهم" أو "تقول"، أو "مثل" وقد سار تلميذه سيبويه على هذا المنوال.

---

(١) ينظر الجمل في النحو، الخليل بن أحمد، ت/ د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٥م، ص٤٩، ٥٥، وينظر: كتاب الجمل في النحو: المنسوب للخليل بن أحمد، دراسة تحليلية، د. محمد إبراهيم عبادة، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٧م، ص١٥.

(٢) ينظر: المصطلح النحوي، ص١٣٧.

وقد أخذ أستاذنا الدكتور محمد إبراهيم عبادة على الخليل أنه فرق عنوانات جزئية يجمعها عنوان واحد، وقد ضرب مثالاً على ذلك بهذه العنوانات "النصب بالنداء المضاف، والنصب الذي يقع في النداء المعرفة، والنصب من نداء النكرة الموصوفة، والرفع بالنداء المفرد، وكلها تندرج تحت عنوان واحد هو باب النداء"(١).

والذي يشفع للخليل هذا المسلك هو الطريق التعليمي الذي ارتسمه منذ بداية مصنّفه، حيث إن الموضوعات النحوية عنده ومعالجته لها وسيلة لا غاية؛ لإتقان الجملة العربية، ومن ثم إتقان اللغة إتقاناً صحيحاً.

ولتوضيح هذا المسلك نجتزئ مثالين من العنوانات عنده، خشية الإطالة فكل الأمثلة النحوية الواردة في البحث بعد ذلك صالحة لما نحن فيه.

يقول الخليل بعد أن ذكر وجوه النصب (الواحد والخمسين)، يأتي على أول وجه، فيقول:

"فالنصب من مفعول [وقد اختاره عنواناً للمسألة النحوية]، قولك: أكرمت زيداً وأعطيت محمداً"(٢). ذكرَ مصطلح المفعول به(٣) وضرب له مثالين من عنده، وهما بالطبع مثالان سهلان يقربان المصطلح للأذهان، وهو لا يقصد للمصطلح قصداً، وإنما هدفه الولوج إلى المسألة النحوية والوقوف على حالة النصب في الجملة، وقد ذكر العنوان ولم يشرحه بل ولج فوراً إلى ضرب الأمثلة، وهذا قمة المنهج التعليمي.

ويقول الخليل: "والنصب من مصدر: كقولك: خرجت خروجاً، وأرسلت رسولاً وإرسالاً، قال الشاعر:

ألا ليتَ شِعْري هل إلى أمِّ مَعْمَرٍ سبيلٌ فأمّا الصبرَ عنها فلا صَبْرا

(١) كتاب الجمل المنسوب للخليل، ص٦٦.

(٢) الجمل: ص٣٦.

(٣) يقول الخليل: "وقد يضمرون في الفعل الهاء، فيرفعون المفعول به، كقولك: زيد ضربت وعمرو شتمت، على معنى: ضربته وشتمته" والرفع المقصود به بناء الضمير على الضم. الجمل: ص٣٦.

لآخر:

أمـــا القتـــالَ فـــلا أراكَ مُقـــاتِلاً ولـــئن هَرَبـــتَ لَيُعـــرفَنَّ الأبلَـــقُ

نصبَ القتال، والصبرَ على المصدر"[1].

وبالجملة فإن النحو قد عرف أولى المصطلحات في عهد الخليل، وبالخليل نفسه[2].

وبالتحليل الدقيق لمنهج الخليل يتبين أنه أرسى لجلّ المصطلحات في الدرس النحوي، حتى التي قيلت أنها مصطلحات كوفية، باستثناء عدد قليل غير ذي خطر ينسب للكوفيين. فعلى سبيل المثال مصطلح: الجحد، والخفض، والصفة، والصلة،... الخ، استقرت في أذهان كثير من الدارسين أنها للكوفيين، وكتاب الجمل ينفي هذا[3].

ثانياً: الأصول النحوية:

في ثنايا عرض الخليل لمسائله النحوية نجده يؤسس لأدلة مواده، وإثبات الحكم والتعليل لها، وكان الغرض من ذلك هو إيصال المادة العلمية وإفهامها لدى متعلميه، وأصول النحو هي: "أدلة النحو التي تفرعت منها فروعه وفصوله، كما أن أصول الفقه أدلة الفقه التي تنوعت عنها جملته وتفصيله، وفائدته التعويل في إثبات الحكم على الحجة والتعليل"[4]، وقد قسمها العلماء إلى: السماع، والقياس، والتعليل.

---

(١) الجمل: ص٣٧، وكتاب الجمل المنسوب للخليل، ص٦٧.

(٢) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٥٨م، ٣٠٣.

(٣) ينظر: المدارس النحوية، د. خديجة الحديثي، دار الأمل، الأردن، ط٣، ٢٠٠١م، ١٣٢، والمدارس النحوية، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٧، ١٦٧، وأبو زكريا الفرَّاء ومذهبه في النحو واللغة، د. أحمد مكي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون، ١٩٦٤، ٤٤٢.

(٤) لمع الأدلة في أصول النحو، لابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، ت/ سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٧م، ٨٠، وينظر: الاقتراح في أصول النحو للسيوطي، دار البيروني، ط٢، ٢٠٠٦، ٢١.

أ- السماع:

والسماع هو "ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وهو القرآن، وكلام نبيه (ص) وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمنه"(١).

فهذه ثلاثة أنواع للسماع: القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب شعراً ونثراً.

أولاً: الاستدلال بالقرآن الكريم في عرض موضوعاته:

لقد بلغ الاستشهاد بالقرآن الكريم عند الخليل مبلغاً كبيراً، فكل ما ورد أنه قُرئ به احتج به الخليل سواء أكان متواتراً، أم آحاداً، أم شاذاً، وهو رائد في هذا الباب وكل مَن أتى بعده اقتفى أثره إلا جمع قليل من العلماء، ولقد كان الخليل من أئمة القرّاء.

ولقد بلغت الشواهد القرآنية في كتاب الجمل ثلاثمائة وثمان وستين آية (٣٦٨) وهو عدد كبير جداً إذا ما قيس بحجم هذا الكتاب المختصر، وفيه دلالة على عناية الخليل بالاستدلال على قضاياه بالقرآن الكريم، هذا النص المقدس الذي لا يضاهيه نص آخر فهو كلام رب العالمين المعجز، وقد رسم الطريق لتلميذه سيبويه ليأخذ هذا النهج من بعده، والنحاة فيما بعد، ولقد ورد اسم الخليل فيما يتعلق بالشواهد القرآنية في ثمانية وعشرين موضعاً في كتاب سيبويه(٢).

ولقد كان عمل الشاهد القرآني في الأساس تعليمياً، فيه يوجه الخليل المسألة النحوية، أو يعلل لها، أو يجيز بعض وجوه الإعراب، أو يجيز بيتاً من الشعر، أو لتأكيد القاعدة وشرحها وتفسيرها.. الخ.

والخليل كان حريصاً على أن يذكر من القراءات ما في وسعه ويبدأ بالقراءة المناسبة للاستشهاد ثم يتلو القراءات الأخرى مع توجيهها(٣).

ولن نسأم من التأكيد على إكبار الخليل للشاهد القرآني، وتقديمه على الشاهد الشعري في أكثر صفحات الكتاب؛ لأنه يدرك وهو صاحب العقلية الفذة مدى براعة الاستدلال بالآية في فهم المادة النحوية للمتلقي صغيراً كان في العلم أو كبيراً، وبمقارنة بسيطة بين عدد الآيات المستشهد بها في كتاب سيبويه، وبين

---

(١) الاقتراح: ٣٩، وينظر: في أصول النحو: سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م، ٢٨.

(٢) ينظر: الاستشهاد بالقرآن في كتاب سيبويه، د. محمد إبراهيم عبادة، بلنسية للنشر ط١، ٢٠٠٨، ٥٣.

(٣) ينظر: كتاب الجمل: ١٠٣.

الجمل على صغر حجمه ندرك الفرق، فبلغ عدد الشواهد القرآنية أربعمائة وستين شاهداً[1] في كتاب سيبويه بينما في الجمل بلغ ثلاثمائة وثمانية وستين شاهداً، وهي مقارنة لعمري تؤكد على سبق الخليل وزعامته للتأسيس للشاهد القرآني، فيرتشف المتلقي فصاحة القرآن، فيستقيم لسانه، ثم تصح لغته.

وللتطبيق من كتاب الجمل: مع ملاحظة أنه يبدأ بالاستشهاد مباشرة بعد العنوان:

يقول الخليل: "والنصب بالبدل، كقول الله عز وجل في الأنعام (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ) [١٠٠]، نصب الجنّ بالبدل، ومثله: قوله فيها: (كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ) [١١٢]، نصب شياطين على البدل، وقال الشاعر:

كأنّ الفُراتَ ماءَهُ وسَدِيرُه ... غَدا بأَناس يومَ قَفَّى الرَّحائلُ

نصب (ماءه) و(سديره) على البدل من اسم "كأنّ" وهو الفرات"[2]، فنلاحظ هنا أنه قدم الشاهدين من القرآن على الشاهد الشعري، وهذا أغلب منهجه كما أكّد على وجه النصب بالبدل، وهو غايته وجوه الإعراب، وبيان النطق الصحيح للجمل.

ويقول: "والرفع بالصَّرف، قول الله عز وجل: (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) [المدثر: ٦]، ذكر النحويون أن معناه: ولا تمنن مستكثراً، فصرف من منصوب إلى مرفوع، ومثله: "ثم ذرهم في خوضهم يلعبون" [الأنعام: ٩١]، معناه: ثم ذرهم في خوضهم لاعبين، فصرف من النصب إلى الرفع، لولا ذلك لكان (يلعبوا) جزماً، على جواب الأمر، ومثله: "فذروها تأكل في أرض الله" [الأعراف: ٧٣]، ومن يقرؤها بالرفع، أي: آكلةٌ، فصرف من النصب إلى الرفع...

وقال آخر:

متى تأتِهِ تَعْشُو إلى ضَوءِ نارِهِ ... تَجِدْ خيرَ نارٍ عندَها خيرُ مُوقِدِ

---

(١) ينظر: الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه: عرض وتوجيه وتوثيق، د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٢، ٢.

(٢) الجمل: ١٠٠ [السدير: نهر بالحيرة، وقفّى: ذهب، والرحائل: جمع رحالة، وهي مركب من مراكب النساء]، وينظر: معاني القرآن للفرّاء، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٣، ٣٤٨، ٣٥١.

رفع تعشو على معنى: تأته عاشياً، فصرف من النصب إلى الرفع"[١].

ونلاحظ في معالجته هنا ما يلي:

١– أن مصطلح الصّرف من وضع الخليل، ثم تلقفه النحويون، ولاسيما الكوفيون، وقد ذكره في كتاب العين[٢]، ويراد به صرف الكلام عن جهته.

٢– أنه قدّم الشاهد القرآني على الشاهد الشعري.

٣– في الآية الثالثة، ذكر الآية للاستدلال على وجه الإعراب الذي خلا من الصرف، ثم ذكر وجهاً للقراءة فيها؛ ليخدم المسألة النحوية، وهي الرفع بالصرف.

٤– لقد ذكر مصطلح الصرف في موضع آخر، ولكن النصب بالصرف لا الرفع، يقول:

"والنصب بالصرف في قولهم: لا أركبُ وتمشي، ولا أشبعُ وتجوعَ، فلما أسقط الكناية وهي: أنت، نصب، لأن معناه، لا أركبُ وأنت تمشي، ولا أشبعُ وأنت تجوعُ، فلما أسقط الكناية وهي أنت نصبَ؛ لأنه مصروف عن جهته"[٣].

ويلاحظ هنا أنه ذكر مصطلح الكناية المعروف بالضمير عند البصريين، وظاهر التركيب السابق أنه حذف الضمير من الجملتين، ولمّا عدَل من الذكر إلى الحذف، نصب الفعل المضارع، والواو السابقة للفعل هي واو المعية التي تنصب الفعل المضارع بعد (أنْ) عند البصريين، وتسمى واو الصرف عند الكوفيين؛ لأنها صرفت الكلام من عطف الفعل على الفعل السابق عليه إلى مفهوم المعية[٤].

---

(١) الجمل: ١٤٢، ١٤٣، وينظر: ديوان النابغة الذبياني، شرح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣/ ١٩٩٦م، ١٦٠.

(٢) يقول الخليل: "وتقول العرب: بعداً وسحقاً، مصروفاً عن وجهه، ووجهه: أبعده الله وأسحقه، والمصروف ينصب، ليعلم أنه منقول من حال إلى حال" العين: ٢/ ٥٢.

(٣) الجمل: ٦٨.

(٤) ينظر كتاب الجمل: ٧٧.

ومن القراءات المستشهد بها في الجمل:

١- يقول الخليل: "وقال الله جلّ وعز: (يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ) [سبأ: ١٠]، نصبَ الطير، لأن حرف النداء يقع عليه... وعلى هذا يقرأ من يقرأ: (يا جبال أوبي معه والطيرُ) على الرفع، ومجازُه: وليؤوِّب الطير معك"(١).

٢- يقول: "كما قُرئ هذا الحرف في الأنعام (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ) [١٥٤]، أي: على الذي هو أحسن، ومن قرأ (على الذي أحسنَ)، فإن محله الخفض، إلا أنه على (أفْعل)، و(أفْعل) لا ينصرف"(٢).

٣- يقول: "... وعلى هذا يقرؤون في سورة البقرة: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) [٢٦]، بالرفع على معنى ابتداء وخبره، ومن قرأ: (ما بعوضةً) جعلَ (ما) حشواً وصلة على معنى أن يضرب مثلاً بعوضة"(٣).

ويلاحظ من خلال تلك الأمثلة المستشهد بها، وغيرها كثير في كتاب الجمل أن الخليل أراد أن يدلل على الوجه الإعرابي الآخر للكلمة في النص المُعالج فكان وكده تتبع وجوه الإعراب من خلال القراءات؛ ليتمكن الدارس من لغته، فتستقيم لغته.

ثانياً: الحديث الشريف:

إن الحديث الشريف هو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الواجب الاستشهاد به بعد القرآن الكريم مباشرة؛ لأن قائله أفصح العرب قاطبة، وقد أوتي جوامع الكلم، وعليه صلى الله عليه وسلم نزل القرآن الكريم، ولكن الذي منع أكثر الأوائل الاستشهاد به هو جواز رواية الحديث بالمعنى، فلم يعتبروه أصلاً من أصول الاستشهاد وتقعيد القواعد النحوية؛ لأن الحديث الواحد في القصة الواحدة قد رُوي بوجوه شتى وعبارات متباينة، ولقد أنكر بعض القدماء على ابن مالك الاستشهاد بالحديث الشريف، وقاد أبو حيّان التوحيدي حملة ضيزى، تبعه فيه ابن

---

(١) الجمل: ٨٣، ٨٤، وينظر تفسير البحر المحيط، لأبي حيّان، ت/ الشيخ: عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١/ ١٩٩٣م، ٧/ ٢٥٢، وكتاب الجمل: ١٠٣.

(٢) الجمل: ٨٩، وينظر: تفسير البحر: ٤/ ٢٥٥، ومعجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ود. عبد العال سالم، جامعة الكويت، ١٩٩١م، ٢/ ٢٣٥.

(٣) الجمل: ٩٤.

الضائع[١] وآخرون إلى وقت قريب إلى أن اتخذ مجمع اللغة العربية قراراً سار فيه على نهج ابن مالك في الاستدلال بالحديث الشريف في إثبات القواعد.

ويمكن الرد على أبي حيان ومَن اقتفي أثره بأن الخليل هو الذي ثبت الاستشهاد بالحديث الشريف قبل ابن مالك بعدة قرون، ونظرة إلى كتاب العين تثبت صحة قولنا، فقد أكثر الخليل من الاستشهاد بالحديث الشريف على إثبات الأحكام سواء أكان في الجانب الصوتي، أو الصرفي، أو النحوي، أو اللغوي، وهذا الأخير هو أكثر الجوانب المستشهد بها[٢].

أما في كتاب الجمل فلم يذكر الخليل إلا حديثاً واحداً، ولعلّ مرجع ذلك إلى منهج الخليل في وضع الكتاب الذي هو مختصر للمتعلمين، بعكس كتاب العين معجم العربية الأول، والذي يحمل مفرداتها، فشتان بين هذا وذاك، فمتى ثبتت وجوه الإعراب من خلال القرآن الكريم بقراءاته، وترسخت لدى المتعلم اكتفى الخليل، فالخليل لا يريد أن يحمل المتلقي عبئاً جديداً في فهم النص، خاصة أن كثيراً من الحديث مروي بالمعنى.

وهذا الحديث أورده الخليل عند حديثه عن لام الأمر، والاستدلال به على أن لام الأمر قد تأتي للشاهد (المخاطب) قال الخليل: ... كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "لتأخذوا مصافّكم"[٣]، وعلى آية حال استشهد الخليل بعده بالقرآن الكريم.

ثالثاً: كلام العرب[٤] ويشمل الشعر والنثر:

- **الشعر:**

الشعر هو ديوان العرب، حفظَ اللغة، ونقلها إلينا وسجل تاريخ العرب وأنسابهم ومآثرهم، وهو كما قال ابن رشيق في عمدته: "أكبر العلوم، وأحرى أن تقبل شهادته وتتمثل إرادته، عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر

(١) هو علي بن محمد الإشبيلي، بلغ الغاية في النحو (ت ٦٨٠هـ): ينظر بغية الوعاة/ السيوطي، ت– محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، ط١، ١٩٦٥م، ٢/ ٢٠٤.

(٢) ولقد أحصى أحد الباحثين عدد الأحاديث الشريفة في كتاب العين فبلغت عنده أكثر من ثلاثمائة حديث: ينظر نحو الخليل من خلال كتاب العين، (رسالة ماجستير)، رافد يوسف، جامعة بابل، ٢٠٣، ٥٧.

(٣) الجمل: ٢٥٠، وينظر: كتاب الجمل: ١٢٣.

(٤) "يحتج منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم، الاقتراح: ٤٧.

لحُكماً" ولقول عمر بن الخطاب (رضي): "نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم" مع ما للشعر من عظيم المزية، وقال أيضاً: "الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه" وقال علي ابن أبي طالب (رض): "الشعر ميزان القول" ورواه بعضهم الشعر ميزان القوم(١).

فالخليل في الجمل أكثر من الشعر، فبلغت شواهده أربعمائة وأربعة عشر بيتاً منها مائة وستة وتسعون بيتاً واردة في كتاب سيبويه(٢)، وعدد الشواهد هذه كبير جداً إذا ما كان منظوماً في مختصر كهذا ولكن على أية حال جاء في مرتبة ثانية بعد الاستشهاد بالقرآن الكريم.

وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة المستشهد بها:

يقول الخليل في معرض حديثه عن النصب من نداء النكرة الموصوفة، وهذا عنوان "قولهم: يا رجلاً في الدار، ويا غلاماً ظريفاً، نصبت؛ لأنك ناديت من لم تعرفه، فوصفته بالظرف، ونحوه: قول الله تبارك وتعالى، في (يس): (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) [٣٠]. وقال الشاعر:

فيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ ... نَدامايَ من نَجْرانَ أنْ لا تَلاقِيا

وقال آخر:

يا سارياً باللَّيل لا تَخْشَ ضَلَّةً ... سعيدُ بنَ سلْم ضَوءُ كُلِّ بِلادِ

وقال آخر:

أداراً بِحَزْوَى هِجْتِ للعينِ عَبْرةً ... فماءُ الهوىَ يَرْفضُّ أوَ يتَرقْرقُ

وقال آخر:

فيا مُوقِداً ناراً لِغيركَ ضَوءُها ... ويا حاطِباً في غيرِ حَبْلِكَ تَحْطِبُ

فنصب راكباً وسارياً وموقداً وداراً؛ لأنها نداء نكرة موصوفة.

وأما قول الأعشى:

قالت هريرةُ لمّا جئتُ زائرَها ... وَيْلي عليكَ وويْلي منك يا رجلُ

---

(١) ينظر العمدة في صناعة الشعر ونقده، لابن رشيق (ت ٤٦٣هـ)، ت/ السيد محمد كامل، مطبعة السعادة، ط١، ١٩٠٧، ١٠، ١١، وينظر: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، جامعة الكويت، ١٩٧٤م، ١٠٠.

(٢) ينظر: كتاب الجمل: ١٢٤.

وقول كثيِّر:

ليتَ التحيَّة كانتْ لي فأشكُرَها مكانَ يا جملٌ حُيِّيتَ يا رجُلُ

فرفع رجلاً وهو نكرة، وإنما رفعه؛ لأنه قصده. فسماه بهذا الاسم فكأنه جعله معرفة.

وأمّا قول الآخر:

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

فإنه نوّن (مطراً) اضطراراً. ويُروى بالنصب منوناً.

وأما قول الآخر:

إنّي وأسْطاراً سُطِرْنَ سَطْرا لَقائلٌ: يا نَصْرُ نَصْراً نصرا

فإنه أراد: أعني نصراً، وأدعو نصراً، وقال بعضهم، كأنه قال: "يا نصرُ نصراً" كما تقول: صبراً وحديثاً، أي: اصبر وحدِّث، ويُروى "وأسطارٍ" بالخفض على القسم"[١].

١- قد أثرت ذكر النص كاملاً للدلالة على احتفاء الخليل بالشعر في الاستدلال على وجوه الإعراب، والائتناس به في حكمه.

٢- ذَكَرَ الخليل ثمانية أبيات شعرية، وهو عدد كبير بالطبع في مسألة واحدة، أربعة منها للاستدلال على وجه النصب من نداء النكرة الموصوفة [الشبيه بالمضاف]، ويلاحظ أنه جعل شبه الجملة هنا ظرفاً وأربعة أخرى لنداء النكرة المقصودة المبنية على الضم، فإذا قال قائل: لمَ أتى الخليل بهذه الأربعة الأخيرة؟ قلت لعله أراد الوجهة الأخرى للنصب، وهي الضم في النكرة المقصودة، وبضدها تتميز الأشياء، فيحسن للطالب معرفة الفرق في حينه، وفيما يبدو أنه جعل نداء الشبيه بالمضاف مماثلاً للنكرة غير المقصودة.

٣- وبالنسبة لعصر المستشهَد بهم، فالبيت الأول لعبد يغوث بن وقاص وهو شاعر جاهلي[٢] ولم يذكر اسمه، والبيت الثاني، قيل: لعبد الصمد العبدي من شعراء الدولة العباسية، ولم يذكر اسمه أيضاً، والبيت الثالث لذي الرمة[٣]، ولم يذكر اسمه، والبيت الرابع للكميت الأسدي وهو شاعر أموي ولم يذكر

(١) الجمل: ٥٣، ٥٤.

(٢) ينظر: المفضليات، ت/ أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، ط٦، ١٥٦.

(٣) ينظر: ديوان ذي الرمة، ت/ أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ١٧٩.

اسمه[١]، والبيت الخامس للأعشى وقد ذكر اسمه، وهو من الشعراء الجاهليين[٢]، والبيت السادس[٣] لكثيّر عزة، وهو من شعراء العصر الأموي، وقد ذكر اسمه، والبيت السابع للأحوص الأنصاري[٤] ولم يذكر اسمه، وهو من شعراء العصر الأموي، والبيت الثامن للشاعر رؤبة بن العجاج[٥] وهو من مخضرمي شعراء الدولة الأموية والعباسية، ولم يذكر الخليل اسمه.

٤- يتضح أن منهج الخليل قائم على ذكر البيت بقطع النظر عن عصره، وعن نسبة البيت لقائله، واهتم كثيراً بشعراء الدولة الإسلامية (العصر الأموي خاصة)، فالمعوَّل عليه هو ذكر محل الشاهد، للوقوف على الوجه الإعرابي محل المسألة التي يشرحها ويفسرها ويستدل عليها، فلا يريد أن يصرف الطالب عن جوهر القضية التعليمية إلى فروعها؛ فيضيع الهدف ويذهب أدراج الرياح.

٥- عند استشهاده بالقرآن ذكر آية واحدة؛ فقد بيّن المراد بهذا الشاهد القرآني، وراح يستطرد في الشاهد الشعري؛ ليثبت أركان المسألة النحوية، واستخدم في هذا التكرار، حتى ولو اختلف الشاهد، إنما الغاية توضيح المسألة، للوصول إلى غاية النطق الصحيح، ومعرفة ضوابطه؛ لتكون غريزة راسخة في ذهن المتلقي.

- **النثر:**

لقد نقل الخليل- رحمه الله- اللغة واللسان العربي من العرب الذي انتقل إليهم وعايشهم، وسمع منهم، وأثبت ما سمعه في كتاب هو الأول من نوعه في العربية وهو العين، الذي حوى مفردات اللغة العربية، وحوى علوماً شتى: علم الأصوات، والصرف، والنحو والعروض، والبلاغة.. الخ، فكان رائداً لكثير من المعاجم التي تلته، كما انطوى على كثير من لهجات القبائل والأمصار التي أخذ منها الخليل كهذيل، وتميم، وقيس، وأسد، وتغلب، وبني الحارثة، وبني عدي،

(١) ينظر: ديوان الكميت الأسدي، ت/ محمد نبيل طريفي، دار صادر- بيروت، ط١- ٢٠٠٠م، ٥٣٥.

(٢) ينظر ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) شرح د. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، ٥٧.

(٣) ينظر: ديوان كثير عزة/ ت/ د. إحسان عباس، دار الثقافة- بيروت، ١٩٧١، ٤٥٣.

(٤) ينظر: ديوان الأحوص الأنصاري، ت/ عادل سليمان جمال- مكتبة الخانجي- القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م، ١٤٠.

(٥) ينظر: ديوان رؤبة بن العجاج، ت/ وليم بن الورد، دار ابن قتيبة- الكويت، ١٩٩٦م، ١٤٠.

وبني سعد، وأهل اليمن، وأهل الحجاز، وأهل مصر، وأهل الكوفة، وأهل الشام.. إلخ.

وسار كتاب الجمل في هذا الطريق آخذاً بلغة العرب، ولكن الخليل هنا اختلف كثيراً في إثبات هذه اللهجات، ولعل مرجعه في ذلك هو منهجه المختصر، فهو يعلم علم اليقين أن كتابه مُصنّف نحوي الهدف منه إتقان طالب العلم لإعراب الجمل، فلا يشتت الطالب عند شرح المسألة بإثبات اللهجة ولا إثبات صاحبها؛ فيضيع الهدف.

فالخليل هو المؤسس الحقيقي لعلم النحو، الذي وضعه في كتابيه: العين، والجمل، وأخذ علمه تلميذه سيبويه وتأسس صرح المدرستين البصرية، والكوفيه على جهوده اللغوية.

ومن الإشارات الواردة عن النقل عن العرب في الجمل:

- يقول الخليل عند نصب النداء المضاف: "قولهم: يا زيدَ بنَ عبدِ اللهِ، نصبتَ (زيداً)؛ لأنه نداء مضاف، ونصبت "ابن"؛ لأنه بدل من (زيد)، وخفضت (عبد الله) بإضافة (ابن) إليه، وقد تنادي العرب بغير حرف النداء، يقولون: زيدَ بنَ عبد اللهِ، على معنى: يا زيدَ بنَ عبد الله. قال الله جلّ ذكره في سورة (بني إسرائيل)[١]: (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) [الإسراء- ٣] بمعنى: يا ذريّة من حملنا"[٢].

هنا قد أعرب الخليل الجملة كلها، موجهاً كل إعراب بلغة سهلة دقيقة، ثم أشار إلى لغة العرب بنصب المضاف بعد حذف عامل النصب (يا)، ثم، أتى بالاستدلال من القرآن وفسره.. أليس نحن أمام معلم في حلقة درس؟

* ويقول في معرض حديثه عن الهاء التي تتحول تاء: "وهي لغة في بعض لغات العرب، يقولون: وضعته في المشكات، وهذه جمرت، وجنّت، قال الله جلّ وعزّ: " (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ) [الدخان: ٤٣]، ومثله: (وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) [الواقعة: ٨٩]، و(إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف: ٥٦]، قال الشاعر:

مِن بَعْدما وبَعد ما وَبعدَمتْ ... صارتْ نفوسُ القوم عند الغَلْصَمَتْ

.... وكادَتِ الحُرّتُ أن تُدعَى أَمَتْ

---

(١) سورة بني إسرائيل، يقصد بها سورة الإسراء.

(٢) الجمل: ٧٧، وينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام (٧٦١هـ)، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- بيروت، ٤/ ٧.

أراد الغلصمة، والأمة، فوقف على الهاء بالتاء على اللغة، وهي حِميريّة، ويقال: لبعض بني أسد بن خزيمة"[١].

فالخليل يشرح تحول الهاء إلى تاء في الوقف والوصل، فنسب اللهجة إلى أهل حِمَيْر، أو لبني أسد، ولعلنا نلمح في هذا أن الخليل لم يكن في خلده عزو اللهجات إلى أصحابها، ربما يرجع ذلك إلى كثرة القبائل التي أخذ عنها، فعندما يتأكد لديه أن اللغة فصيحة تجري على سنن العرب فلا حرج إذن أن يذكرها دون عزو، وبخاصة أنه كان يستقرئ وحده لغة أمة بأكملها.

فما أجمل ما قاله العلامة عباس حسن: "وإنا لنذكر بالخير- في هذه المناسبة- تلك الطلائع العلمية من رجالات اللغة والنحو، ونسجل بالإكبار وعظيم التقدير فضلهم على اللغة بجمعها، والعناية بفروعها، ولاسيما تأسيس النحو، ونشيد بذكر طائفة كانت في مقدمة العاملين المخلصين الذين أسسوا هذا العلم على أقوى الدعائم، هي: علي بن أبي طالب، وأبو الأسود الدؤلي، وعبد الله بن إسحاق، وأبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وسيبويه..." [٢].

ب- القياس:

عرّف ابن الأنباري القياس فقال: "فهو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه، كرفع الفاعل، ونصب المفعول في كل مكان، وإن لم يكن كل ذلك منقولاً عنهم، وإنما لما كان غير المنقول عنهم من ذلك في معنى المنقول، كان محمولاً عليه وكذلك كل مقيس في صناعة الإعراب"[٣].

والنحو مثله مثل أي علم آخر، بعضه يؤخذ بالسماع، وبعضه يؤخذ بالاستنباط والقياس والفكر والروية وهو ضروري لصناعة النحو "اعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق؛ لأن النحو كله قياس"[٤].

وحد النحو: "علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو"[١].

---

(١) الجمل: ٢٧٢، وينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقي (٧٠٢هـ)، ت/ أحمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق، ١٦٢، وينظر: أوضح المسالك: ٤/ ٣٤٨، وبعدمَتْ: الأصل: بعدها، فأبدل الألف هاء، وأبدل الهاء تاء، ليوافق قوافي الأبيات.

(٢) اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، دار المعارف، ١٩٦٦، ٢٠.

(٣) لمع الأدلة: ٤٥، وينظر: الاقتراح: ٧٩.

(٤) لمع الأدلة: ٩٥، وينظر: الاقتراح: ٧٩.

فالقياس إذن هو محاكاة العرب في طريقتهم اللغوية، وجعل كلامنا مثل كلامهم في صياغة أصول المواد اللغوية وفروعها، وضبط حروفها، وترتيب كلماتها.. الخ فالقياس على هذا نشأ تعليمياً، ولا ندعي القول إذا قلنا إن الخليل هو الذي أرسى دعائم القياس عندما ذهب إلى العرب الخُلّص، وسمع منهم، ودوّن كل ما سمعه في كتابه العين، وقاس على ما سمعه، ففهم معنى القياس حق الفهم، وابتعد به عن التفصيل والتشعيب، والالتواء والتعقيد، الذي سلكه جمع من بعده في كتبهم ففتحوا بسبب ذلك أبواباً من المشكلات، تكد العقل، وترهق الفكر، وأسرفوا في التفصيل، والتفريغ إلى حد الغموض(٢).

فالقياس الذي أنشأه الخليل يرمي إلى السير خلف كلام العرب الصحيح. متى ما ثبتت صحته لديه، لا يعنيه تعريف القياس ولا أنماطه، إنما يعنيه آثاره في توليد الجمل ومن ثم ضبطها الضبط الصحيح، وترتيب كلماتها، وهو يعرف مِن أي القبائل أخذ اللغة؟ وأيها صحيح مستعمل، وأيها خطأ غير مستعمل، ولا ننسى أن الخليل عاش في القرن الثاني الهجري الذي وصلت فيه اللغة وفصاحتها أوجّ ازدهارها.

* يقول الخليل: "والرفع بالبنْيَة، مثل: حيثُ، وقطُّ، لا يتغيران عن الرفع على كل حال، وكذلك: قبلُ، وبعدُ، إذا كانا على الغاية، وفي لغة بعضهم: (حيثَ) بالفتح؛ لأن الفتحة أخف الحركات، وقالوا: حيثُ وحوثُ، فما كان مفتوحاً فهو على القياس، وأما المضمومة كأنهم توهّموا هذه الضمة التي في هذا الجنس الذي لا يجري فيه الإعراب متحرك الوسط سكنوه إذ لم يجتمع الساكنان، وذلك مثل (نَعَم، وأَجَل، وكَمْ، وهَلْ، ومَنْ، وإنما سكنوه؛ لأنه حرف جاء لمعنى، وليس باسم فيكون فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً، فيدخله الإعراب، وإذا كان الحرف المتوسط منه ساكناً حُرِّك بالفتح، لئلّا يسكنا، مثل: أيْنَ، وكيفَ، وليتَ، وأنّ، وحيثَ، وأشباه ذلك، فاعرف موضعها"(٣).

فالخليل في كتاب الجمل يعتد بالقياس. وأكبر دليل حجم الجمل التي أنتجها ووضعها في كتاب الجمل، والتي أصبحت فيما بعد نبراساً يهتدي بها

---

(١) لمع الأدلة: ٩٥.

(٢) ينظر: اللغة بين القديم والحديث: ٢٢.

(٣) الجمل: ١٤٨.

النحاة في كتبهم وحلقات علمهم. فالخليل لم يخالف سنن العرب في لغتهم، بل أنشأ الصرح، وجَمّله بما أضافه من جمله.

وكان الخليل يعد القياس أصلاً من أصول النحو، ولا يستغنى عنه في عرض المسائل والموضوعات، ولكن قياسه في أكثر المسائل ملاحظ فيه طبيعة الأساليب العربية، وسنن العرب العامة في صياغة الألفاظ، وبناء الجمل ولم يكن قياسه عقلياً محضاً.

ومع ذلك مهما بالغ الخليل في القياس، فإنه لم يخرج عن نطاق اللغة الصحيح فكان قياساً تعليمياً يراعى فيه الذوق اللغوي، وعدم الخروج عن الاستعمال، ولا عن طبيعة اللغة، ولم يكن وكده رسم القواعد فحسب من خلال قياساته.

يؤيد هذا ما رواه الأصمعي عنه، قال الأصمعي: "قال لي الخليل: أنشدنا رجل: ترافع العز بنا فارفنعا، فقلت هذا لا يكون، فقال: وكيف جاز للعجّاج أن يقول: تقاعس العز بنا فاقعنسسا"[1].

فالخليل رفض لفظ (فارفنعا) قياساً على "فاقعنسسا"؛ لأن اللفظة الأولى فيها ثقل تمجّه الآذان، ويصعب في النطق؛ لأن الخليل يرى أن حروف الحلق أقل اجتماعاً وتآلفاً في كلمة، وعلى هذا رفض هذا القياس[2].

ومع هذا من ثوابته أن العرب تتوسع في كل شيء ما دام يجري على سننها، وهو مبدأ تعليمي؛ يفتح آفاق ذهن المتعلم، فيعرف الكلمات: موضعها، وضبطها وتذوقها. ودليل ذلك من كتاب الجمل.

يقول الخليل: "والنصب بالتعجب، قولهم: ما أحسن زيداً، وما أكرم عمراً، وهو في التمثال، بمنزلة الفاعل، والمفعول به، كأنه قال: شيء حسّن زيداً. وحدُّ التعجب: ما يجده الإنسان من نفسه عند خروج الشيء من عادته، وقال الكوفيون: هذا لا يُقاس عليه؛ لأن قولهم: ما أعظم الله، لا يجوز أن تقول: شيء عظّم الله، فرُدّ عليهم قولهم، وقال البصريون: لا يذهب القياس بحرف واحد، وقالوا: لا يُجعَل فاعله مفعولاً، ولا مفعوله فاعلاً، ومن شان العرب الوسع في كل شيء، ومعنى ما أعظم الله: ما أعظم ما خلق الله، وما أحسن ما خلق!"[3].

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه: ٢٥٣.

(٢) ينظر: العين: ١/ ٩٦.

(٣) الجمل: ٤٨.

ففي هذه المسألة نرى الخليل يتخذ القياس لفهم لغة العرب، ورأينا كيف رد على الكوفيين قولهم بمنطق علمي دقيق وفهم واعٍ، ومع هذا فالكوفيون تأثروا بالخليل حينما اتصل الكسائي به، وحينما اتصل الفَرّاء بأدائه فاهتموا بالقياس، ولكنهم توسعوا فيه لحد وصل بهم إلى الاعتداد بالمثل الواحد يقيسون عليه(١).

وليت النحويين اقتفوا أثر الخليل في منهجه القياسي التعليمي، ولكن بمرور الزمن جعل النحاة القياس له أركاناً كأركان القياس في علم الأصول، وقالوا إنها أربعة: أصل (مقيس عليه)، وفرع (مقيس)، وحكم، وعلة (دعامة القياس)، فأصبح الدارس يدرس فقهاً وأصوله.

ونحن مع الدكتور سعيد الأفغاني حينما قرر أن النحاة بالغوا في التزام القياس، وتطويع اللغة له، فخرجوا على طبيعة الأشياء، حتى كادوا ينسون أنه مستنبط من اللغة، وأن اللغات لا تُبنى على قياس مخترع(٢) وكانت النتيجة غير مرضية، فنفر المتعلمون من النحو ودراسته وجعلوه عبئاً عليهم.

ج- التعليل:

لقد كان للعلة شأو عظيم في الدرس النحوي، فهي أساس القياس وإنما نشأت العلل النحوية نشأة فطرية، واعتمدت عليها القواعد النحوية، وأخذت تنمو حتى وصلت قمة نضجها عند الخليل.

يقول الزجاجي: "وذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد رحمه الله، سُئل عن العلل التي يعتلّ بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علّه، لما عللته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست، وإن تكن هناك علة فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة، والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها، قال: إنما فعل هذا هكذا لعلّة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا رسخت له وخطرت بباله، محتملة لذلك فجائز أنْ يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلّة، إلا أن ذلك ممّا ذكره هذا الرجل

(١) ينظر: الخليل أعماله ومنهجه: ٢٦٠.

(٢) ينظر: في أصول النحو، ١١٦.

محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري علّة لما عللته من النحو هو أليْق مما ذكرته بالمعلول فليأتِ بها"[١].

فهذا النصّ الأشهر في العلّة والذي دار في أغلب مصنّفات النحويين يشير إلى أن العلّة فطرية، والخليل هو أول من بسط القول فيها.

وانفتح باب العلل واسعاً أمام النحاة وأخذ كل حاذق منهم يجلب كل ما يستطيع من غرائب ونوادر، ولم يقفوا بها عند أحكام الإعراب الظاهرة، وتجادلوا فيها كثيراً، أدى جدلهم إلى فروض وهمية؛ حتى عقّدوا مصنّفاتهم النحوية تعقيداً شديداً، حتى أصبح كثير من مباحثها شيئاً عسيراً[٢].

وليتهم اقتفوا أثر الخليل في جعل العلل المستخدمة عللاً تعليمية، وهي التي يحتاجها الناشئ وطالب العلم، وتُفضي في النهاية إلى تعليم اللغة ليس إلى حفظ قواعد وفروض، وهمية وجدليات لا وزن لها من علل ثوانٍ وثوالث، لا تفيد أهل العربية شيئاً سوى التعقيد والوهم، ومن ثم ضياع واختفاء المادة اللغوية والنحوية في زخم هذه الفلسفة التي لا طائل من ورائها. فحسبنا لطالب العلم أن يعرف العلل الأوائل فقط، والتي يستقيم بها لسانه، فتبين له أن هذه الكلمة مرفوعة- مثلاً- لأنها فاعل أو مبتدأ.. الخ. أو هذه الكلمة منصوبة؛ لأنها مفعول به، أو خبر لكان... الخ؛ حتى لا يضيع الجهد والوقت في عبث لفظي لا غناء فيه، بل فيه كل العناء[٣].

*** وفيما يلي بعض من العلل التعليمية عند الخليل في كتاب الجمل:**

١- علة الشبه:

يقول الخليل: "والنصب بإن وأخواتها. قولهم: إن زيداً في الدار، شبهوه بالفعل الذي يتعدّى إلى مفعول، كقولهم: ضرب زيداً عمرو وأخرج عمراً صالحٌ"[٤].

---

(١) الإيضاح في علل النحو، للزجاجي (٣٣٧هـ)، ت/ د. مازن المبارك، دار النفائس، ط٣، ١٩٧٩م، ١٦٦، وينظر: الاقتراح: ١١٢.

(٢) ينظر: الإيضاح في علل النحو [مقدمة].

(٣) ينظر: اللغة والنحو بين القديم والحديث: ١٨٦.

(٤) الجمل: ٤٥.

ويقول أيضاً: ".... رَفَعَ لعمرُكَ؛ لأنّه شبّه لامه بلام الخبر، كقوله جلّ ذكره: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) [العاديات: ٦– ٨] (إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ) [العاديات: ١١]"(١).

٢– علة تخفيف:

يقول الخليل عن أصل التاء في: سِتّه: "وإنما دخلت التاء في ستّه؛ لأن السين والدال مخرجهما من مكان واحد، فأبدلت التاء بالدال؛ لتخفّ على اللسان في النطق".

ثم يقول الخليل: "وأما قول الله تبارك وتعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [القمر: ١٧] فأصله: مذتكر، اجتمع ذال وتاء، ومخرجهما قريب بعضه من بعض، فلمّا ازدحمتا في المخرج أدغمت التاء في الذال، فأعقبت التشديد فتحولت دالاً"(٢).

وهذه علّة صوتية الغرض منها التخفيف في النطق، والخليل واضع علم الأصوات بلا منازع.

٣– علة اضطرار:

يقول الخليل: وأمّا قول العجّاج:

وربِّ هـــذا البَلَـــدِ المُحـــرّمِ قواطنــاً مكّــةَ مــن دُرْقِ الحَمِــى

أراد الحمامَ، فأسقط الميم التي هي حرف الإعراب، فبقي "الحما"، فقلبت الألف كسرة؛ لاحتياجه إلى القافية اضطراراً"(٣).

٤– علة أمن اللبس:

في حديثه عن حركة ألف الوصل في فعل الأمر، يقول: "... وإن كان ثالث حروفه مكسوراً فالألف مكسورة، وكذلك إذا كان ثالث حروفه مفتوحاً كسروا الألف أيضاً، وألف الوصل مثل: ألف اذهب، وإنما فعلوا ذلك؛ لئلا تشتبه ألف الوصل بألف النَّفْس"(٤).

---

(١) الجمل: ١٦٤.

(٢) الجمل: ٢٨٢. وينظر كتاب الجمل: ٢٠، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) للبيضاوي (٦٩١هـ)، إعداد/ محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ٥/ ١٦٦.

(٣) الجمل: ٢١٣، وينظر كتاب الجمل: ١٨، وينظر: ديوان العجاج، ت/ عبد الحفيظ السطلي– أطلس– دمشق، ٤٥٣ [مع تصرّف ملحوظ في الفاظ الشاهد عمّا ورد في الجمل].

(٤) الجمل: ٢٢٧، وألف النفس: هي همزة المضارعة، ينظر: الجمل: ٢٣٩.

والجمل مليء بالعلل التعليمية الأخرى[1] التي تقرب المسائل إلى الأذهان، ولسان حالها: إنني ما أتيت إلى اللغة عبثاً إنما هي بي وأنا بها، والعلل ضرورية لتفسير الظواهر اللغوية، لأن النفس تميل إلى معرفة أسباب الظواهر اللغوية.

وليعلم دارس النحو أن النحو ليس هو اللغة، إنه أشبه بقواعد البيت ولا خير في الاهتمام بهذا الجانب إلا بالنظر الدقيق في البناء كله، أي اللغة بكل مستوياتها المختلفة، وليكون النحو كما رسمه وخطّه لنا الخليل معلمنا الأول ورائدنا في هذا المجال[2].

ثالثاً: البعد عن الخلاف النحوي وجدله:

إن القارئ لكتاب الجمل يلمح ابتعاد الخليل عن الخلاف النحوي، ليشكل هذا الملمح منهجاً تعليمياً قصده الخليل من تصنيف الكتاب، فهو لا يريد أن يغرق المتعلم في مسائل خلافية، فيضيع الهدف من بين يديه، فهو إذ يعرض لمسائله النحوية فإنه يقدم ما استقرت عليه العرب من صحيح اللغة، وقلنا آنفاً إن الخليل رأس المدرستين البصرية والكوفية، بل رأس المدارس النحوية كلها، فهو المؤسس لعلم النحو، وعليه قام بنيانه.

ولعل كتاب الجمل هذا بمنهجه التعليمي يؤكد صحة قولنا، ولسنا مع الأستاذ أحمد أمين في ضحاه حينما يقرر أنه فجأة برز كتاب ضخم ناضج هو كتاب سيبويه، ولم يُر قبله ما يصح أن يكون نواة تبين ما هو سنّة طبيعية من نشوء وارتقاء، وكل ما ذكره السابقون لا يشفي غليلاً[3]، نعم قد برز كتاب ضخم بحر في مجاله، وهو كتاب سيبويه، ولكن هذا البحر كان مياهه من علم شيخه الخليل بن أحمد.

والخلاف النحوي الذي نشأ بين علماء البصرة والكوفة بسبب اختلافهم في تعليل الظواهر اللغوية، واختلافهم في استنباط الأحكام النحوية، وفي فهم الأصول واستخدامها، ووضع القواعد، وهذا الخلاف لم يكن لينشأ إلا لاختلاف فهم هؤلاء

---

(١) ينظر أنواع أخرى للعلل: [كراهية- استغناء، الحمل على المعنى]، الجمل: ١٣٩، ١٤٦، ٢٢٩، ٢٣١.

(٢) ينظر: اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة، ١٩٩٩م، ١٩.

(٣) ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، ٦٠٦.

العلماء للأصول اللغوية[١]، وعلى أية حال فإن الخلاف الذي نشأ بين النحويين إبّان عصر الخليل أكثر من المذاكرة وحكاية الأقوال المخالفة والرد عليها في لطف وروية[٢].

– والمتصفح لكتاب الجمل يكاد لا يجد إلا مواضع قليلة جداً لهذا الخلاف النحوي؛ ليثبت بلا شك أن الكتاب تعليمي، وإذا وُجد هذا الخلاف، لا يدور الخليل حوله لينتصر لرأي دون الآخر، ولكن يعرض الرأي للإفهام والشرح والتفسير؛ ولم يذكر صراحة قولاً منسوباً إلى البصريين والكوفيين ولم يذكر لفظهما إلا في موضع واحد عند حديثه عن النصب بالتعجب وقد مرّ ذكره والاستشهاد به، فلا داعي لتكراره منعاً للإطالة.

– ومما ورد في كتاب الجمل يثبت منهجه: يقول: "والنصب بالمدح قولهم: مررت بزيد، الرجلَ الصالحَ، نصبَ (الرجلَ الصالحَ) على المدح، وإن شئت جعلته بدلاً من زيد فخفضته، وإن شئت رفعته على إضمار (هو) كقولك: مررت بزيد هو الرجل الصالح، وزعم يونس النحوي أن نصب هذا الحرف على المدح في سورة النساء: (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ) [الآية: ١٦٢]، و(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ) [البقرة: ٧٧] [٣].

هنا يتحدث عن النعت المقطوع للمدح للرفع والنصب، مع ذكر وجه البدل[٤].

ويقول: "وهاء المبالغة والتفخيم، مثل قولهم: رجل علّامة ونسّابة، ولحّانة إذا كان كثير اللّحن، وزعموا أن قول الله جلّ وعزّ: (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) [القيامة: ١٤]، على هذا المعنى"[٥].

---

(١) ينظر: ابن الأنباري وجهوده في النحو، د. جميل إبراهيم، رسالة دكتوراه– جامعة القديس يوسف– بيروت، ١٩٧٧م، ٢١١.

(٢) ينظر: في أصول النحو: ١٧٦.

(٣) الجمل: ٦١.

(٤) ينظر: تفسير البحر: ٢/ ١٠، ٣/ ٤١٢، وينظر: تفسير الكشاف، للزمخشري (٥٣٨هـ)، اعتنى به/ خليل شيحا. دار المعرفة– بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م، ١٠٩.

(٥) الجمل: ٢٦٩، ويذكر مواضع أخرى في الجمل: ٤٩، ٥٠، ١١٣، ١١٥، ١٤٢.

رابعاً: نظرية العامل والبعد التعليمي:

العامل كما يعرفه أستاذنا الدكتور محمد إبراهيم عبادة: "يراد به: ما يوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب، والعامل نوعان: عامل لفظي، وعامل معنوي"(١).

والعامل اللفظي: الكلمة التي تؤثر في ضبط كلمة أخرى إعرابياً كحروف الجر، والأفعال، والعامل المعنوي: ما يؤثر في إعراب الكلمة وليس ملفوظاً به ولا مُقَدَّراً، مثل: الابتداء؛ فهو عامل الرفع في المبتدأ عند البصريين(٢).

وقد نشأت هذه النظرية وارتبطت بالنحو العربي، ألم يُعرِّف النحويون الإعراب بقولهم "الإعراب: أثر ظاهر أو مقدَّر يجلبه العامل في آخر الكلمة"(٣).

ولقد غرس الخليل بذرة هذه النظرية وأتت أكلها عند تلميذه سيبويه في كتابه الأشهر، فالخليل بعبقريته يعرف مواقع الكلمات وأثرها في الجملة. وتأثير الألفاظ في الجملة، وتوجيه هذا التأثير في المعنى، ويدرك أن الجملة بناء، وهذا البناء يتكون من قوالب وعناصر، هذه العناصر تتناسق مع بعضها؛ ليكتمل المعنى والإفهام، وكل عنصر له قواعده التي تحكمه، ليتحقق في النهاية إفهام الجملة بل إفهام النص بأكمله.

ولقد تلقف النحويون ما جاء عن الخليل وسيبويه فحذوا حذوهما واقتفوا أثرهما وسيطرت فكرة العامل على مصنفاتهم، وذهب بعضهم إلى عرض مسائلهم النحوية من منطلق العوامل التي تنصب وترفع وتجر وتجزم بل وصل الأمر إلى التأليف في هذا الحقل، فصنّف عبد القاهر الجرجاني (العوامل المائة)، وشرحه الشيخ خالد الأزهري(٤). ثم انحرف النحويون بعد ذلك عن الطريق الذي خطّه ووضعه الخليل؛ فغدت نظرية العامل ضرباً من الفلسفة والجدل العقيم والتأويلات

---

(١) معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، ط٥، ٢٠٢٠م، ٢٤٢.

(٢) السابق، ٢٤٢.

(٣) أوضح المسالك ١/ ٣٩.

(٤) ينظر: النحو العربي أصوله وأسسه: ١١٣.

البعيدة المعقدة التي تفتقد غرضها التعليمي وأدت إلى اختراع أساليب سمجة من صنع النحاة؛ ليقيموا نظرية العامل(١).

نتج عن هذا الجدال ثورة على نظرية العامل قادها ابن مضاء القرطبي في كتابه الرد على النحاة. وكان هدفه حذف ما يستغنى عنه النحوي، وتبعه عدد من المحدثين وعلى رأسهم الدكتور تمام حسان(٢).

وعلى أية الحال ليت أكثر النحويين اقتفوا أثر الخليل، فأدركوا حقيقة العامل في أن دوره لم يكن مقصوراً على العلامة الإعرابية، وإنما يتضمن التأثير في تغيير العلاقات بين الكلمات، أو إضافة جديدة إلى العلاقات في الجملة، بمعنى أنه المؤثر في تشكيل المعنى النحوي(٣).

وقد لخّص الخليل منهجه النحوي التعليمي منذ أول سطر في المؤَلَّف، فهو يعتمد المعمولات؛ ليبين جملة الإعراب، فجميع النحو عنده في الرفع والنصب والجر والجزم فهو لم يركز كثيراً على العوامل بقدر تركيزه على وجوه الإعراب، والأمثلة المستشهد بها في الموضوعات السابقة لهي خير دليل على منهج الخليل العلمي ونظرته للعامل.

وفي العوامل اللفظية والمعنوية يقول الخليل:

يقول الخليل: "والنصب من التخدير، قولهم: رأسك والحائطَ، الأسدَ، الأسدَ، معناه: احذر الأسدَ"(٤).

فالعامل جاء في سياق شرح وتفسير وإفهام، والعامل هنا لفظي، وهو الفعل (احذر).

وأمّا العامل المعنوي، يقول الخليل: "زيدٌ خارجٌ، والمرأةٌ منطلقةٌ، رفعت (زيداً) بالابتداء، ورفعت (خارجاً)؛ لأنه خبر الابتداء"(٥).

---

(١) ينظر: ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، د. أحمد سليمان، دار المعرفة- إسكندرية، ١٩٩٤م، ٧٢.

(٢) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسّان، عالم الكتب، ٢٠٠١م، ٥٥، واللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، ١٩٩٤، ١٨٥.

(٣) ينظر: النحو العربي: أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه: ١٢٥.

(٤) الجمل: ٥٥.

(٥) الجمل: ١١٨.

يتضح من الأمثلة هنا، والأمثلة المقدمة هناك أن الخليل لم يكن وكده إغراق الطالب فيمن رفع، ونصب؟ إلا فيما يحتاج إلى مزيد إيضاح يخدم المعنى ويزيده إفهاماً... فما أعظمه منهجاً تعليمياً!!

خامساً: الشرح والتفسير:

إن الهدف الذي وضعه الخليل من مصنّفه- لا شك- هدف تعليمي؛ ولذلك جعله مختصراً، يستوعبه المتعلم بكل سهولة ويسر، وما كانت القواعد في هذا الكتاب للحفظ والاستظهار فقط، وما كان عنده غاية في حد ذاته بل كان وسيلة من خلالها يُعلّم الضبط الصحيح للمفردات وطريقة تركيبها، وحسن تنسيقها في الجملة، وتحصيل الملكة اللسانية، واستخدام العربية استخداماً سليماً خالياً من الخطأ قدر الإمكان، كان هذا الهدف الجليّ عند الخليل ماثلاً في ذهنه عند عرض المسائل النحوية التي يعالجها.

ومع أن الكتاب مؤلّف للقواعد النحوية، ففي سبيل إفهام هذه القواعد والأحكام المتعلقة بها كان الخليل يقوم ببيان معاني المفردات إذا رأى أنها تحتاج إلى تبيان، أو يذكر اشتقاقها، وحكم المفردات من مدّ وقصر.. الخ[1]. الغرض من هذا كله هو الإفهام والتوضيح، وحتى تستبين القاعدة، فيتم إدراك المسائل ثم يتم النطق الصحيح.

وفيما يلي طائفة من الأمثلة توضح هذا الهدف:

يقول الخليل: "ومن ذلك قول الآخر:

كانت عقوبةُ ما جنيتَ كما كانَ الزِّناءُ عقوبَةَ الرّجمِ

الزناء يُمدّ، ويُقصَرُ، والبكاء أيضاً، والوجه: كما كان الرجمُ عقوبة الزناء"[2].

الخليل يتحدث عن النصب الذي فاعله مفعول، ومفعوله فاعل (في المعنى)، فإن الرجم هو عقوبة الزنا، وليس العكس، والخليل لم يكتف ببيان وجه النصب، وإنما تعرض لقضية صرفية، ليُعلم من خلالها معنى اللفظة.

ويقول الخليل: "وأمّا قول الآخر:

تعُدُّون عَقْرَ النِّيبِ أفضلَ مجدِكُمْ بَنِي ضَوطَرَى، لولا الكميَّ المُقَنَّعَا

(١) ينظر: كتاب الجمل: ١٦.

(٢) الجمل: ٥١، وينظر: ديوان النابغة الجعدي، ت/ د. واضح الصمد، دار صادر- بيروت، ط١/ ١٩٩٨، ١٦٩.

فإنه نصب (الكميّ) على إضمار كلام، كأنه قال: هلّا تعدون فيما تعقرون الكمّي المقنعا، والكمّي: الفارس الشجاع، والمقنع: الذي يُقنّع بالسلاح.

أي: لبس الحديد، (ولولا) في معنى هلّا، والمضمر في الكلام كثير"(١).

فهو لم يكتف ببيان النصب في (الكمّي)، ولكنه أخذ يفسر ما رآه غامضاً من الشاهد حتى يفهم المتعلم المعنى العام، وليس حفظ القاعدة وحكمها فقط.

ويقول: "ويُرَخّمُ ثمود: ثَمُوْ، وإن الاسم لا يكون على أقل من ثلاثة أحرف، وهو مأخوذ من الثمَد، وهو مستنقع الماء"(٢).

ومن الشرح والإفهام: (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) [البقرة: ٢١٩]، بالرفع، معناه: الذي يُنفِقون العفُو... ويُقرأ: (مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) بالنصب على معنى: ينفقون العفوَ، وهو فضلة المال، وكذلك عفوُ الماء، والقِدْر، وغير ذلك: فضلته"(٣).

والكتاب يزخر بكثير من معاني المفردات وشرح ما استغلق من الألفاظ، وتبيان ما حقه التوضيح؛ ليؤكد أن غرضه تعليمي، وهو إفهام المسألة بكل الوجوه الممكنة.

سادساً: الاختصار والإيجاز:

منهج الجمل كما أبان عنه صاحبه في مقدمة كتابه هو الاختصار، إذ وضع فيه جملة الإعراب: في الرفع، والنصب، والجر، والجزم، بالإضافة إلى حروف المعاني، وهذا المنهج كما يقول صاحبه: استغنى عن كثير من كتب النحو، فابتعد عن التفريع والتشعيب والتعقيد فكان كتاباً تعليمياً.

ففي اختصار المسائل:

* يقول الخليل: "والنصب بـ (إن) وأخواتها: قولهم: إن زيداً في الدار شبّهوه بالفعل الذي يتعدّى إلى مفعول، كقولهم: ضرب زيداً عمروٌ، وأخرج عمراً صالحٌ"(٤).

* ويقول: "والنصب بخبر كان وأخواتها، قولهم: كان زيد قائماً، وهو في التمثال، بمنزلة المفعول به الذي تقدّم فاعله، مثل قولهم: ضرب عبد الله زيداً"(١).

---

(١) الجمل: ١٠٢، وينظر: ديوان جرير، تعليق: كرم البستاني، دار بيروت، ١٩٨٦م، ٢٦٥.

(٢) الجمل: ١٣٨.

(٣) الجمل: ١٦٠، ينظر: تفسير البحر ٢٠/ ١٦٨.

(٤) الجمل: ٤٥.

* ويقول: "والنصب بالاستثناء، قولهم: خرج القوم إلا زيداً، وقام الناس إلا محمداً؛ نصبت زيداً، ومحمداً؛ لأنهما لم يشاركا الناسَ والقومَ في فعلهم فأخرجا من عددهم"(٢).

* ويقول: "فالرفع بالفاعل، قولك: خرج زيدٌ، وقام عمرو"(٣).

كل هذه الأمثلة المتقدمة هي مسائل نحوية، وكل مسألة هي موضوع يعالجه الخليل وقد وضع في مقدمته عنوان المسألة، فالفحص والتمييز لهذه المعالجات يسلمنا إلى مدى اختصار الخليل للقواعد والمسائل النحوية، ولكنه اختصار غير مخلٍ، فقد اختصر فأبان فأوعى، فتحولت القواعد النحوية على يديه إلى بلاغة!

سابعاً: محتوى الكتاب وتنسيقه ووسائل الربط بين أجزائه:

لقد حاول الخليل أن يجعل كتابه كتاباً تعليمياً يَسْهُل فهمه عند المتلقي، ويوظف القضايا النحوية لضبط اللغة، ويجعلها وسيلة الكلام والإبلاغ، فعرض لقضاياه عن طريق المعمولات، فرتب كتابه وقسّمه على وجوه الإعراب المختلفة. فبدأ بالنصب لما وجده أكثر الإعراب طرقاً ووجوهاً، وجمعها في واحد وخمسين وجهاً، ثم عرض للرفع وجمعها في اثنين وعشرين وجهاً، ثم عرض وجوه الخفض فجمعها في تسعة أوجه، ثم عرض وجوه الجزم فجمعها في اثني عشر وجهاً، وأخيراً عرض لبعض حروف المعاني ووظائفها.

وهذا التنسيق الذي يُعدّ الأول من نوعه في العربية، بل أول التنسيقات والتقسيمات عموماً في المجال النحوي، أراد به الخليل الربط بين المسائل النحوية؛ ليتسنى جمعها للمتعلم ومن ثَم تعلم النحو وهضم مسائله(٤)؛ فيستغنى الطالب عن كثير من كتب النحو على حد قول الخليل في مقدمة كتابه.

وفي سبيل التيسير على طالب النحو، فقد خلا كتاب الجمل من كثير من القضايا النحوية التي كثر فيها الآراء والجدال، فأضحت هذه القضايا ضرباً من الفلسفة المحضة، ومن هذه المسائل والقضايا: التنازع، والاشتغال، والإعراب التقديري والمحلي، ونيابة علامات فرعية عن علامات أصلية في الإعراب،

---

(١) الجمل: ٤٥.

(٢) الجمل: ٤٧.

(٣) الجمل: ١١٨.

(٤) ينظر: النحو العربي؛ أصوله وأسسه، ١٩٢.

ومتعلق الظرف والجار والمجرور، ومسوغات الابتداء بالنكرة، والمبتدأ المستغنى عن الخبر، بالإضافة إلى التعليلات غير المجدية والتخريجات والتأويلات والتمارين العملية وغير العملية.. الخ، حتى تحولت هذه المسائل النحوية إلى ما يشبه غابات ملتفّة من الصعب ارتيادها والسير في متعرجاتها ومنعطفاتها على حد قول المرحوم الأستاذ الدكتور شوقي ضيف(١).

ومن وسائل الربط بين أجزاء المصنَّف، وحدة المصطلح، وتكرار العبارة، واتحاد الفكرة (٢):

ب– الأسلوب التعليمي:

لقد كان الخليل بحق أول معلم للعربية يتبع أسلوباً تعليمياً تربوياً، وإن لم يصرح بذلك، وأثر ذلك واضح في كتاب الجمل، فاستطاع أن يستميل تلاميذه إليه بطريقته في عرض مسائله، وأساليبه في تدريس مواده، هذه الطريقة وتلك الأساليب، استطاعت غرس المادة العلمية بطريقة يسيرة بعيدة عن الغموض والتعقيد، وبلغة العصر فقد وضعت حلولاً لصعوبات التعلم في مادة النحو موضوع البحث، واستطاع أسلوبه تنمية ثقة التلميذ بنفسه، واكتساب المهارات المختلفة من خلال مسائله فمكنته من امتلاك الفصاحة والبيان.

وأسلوب الخليل مرتبط بمدى ذكائه ورسوخه العلمي، واستيعابه للغة العرب، فهو معلم واسع الثقافة غزير المعرفة، واضح الأسلوب، فهذه صفات– لعمري– جعلت علم الخليل سهماً نافذاً لعقول تلاميذه.

ويمكن تعريف الأسلوب بأنه: "الكيفية التي يتناول بها المدرس طريقة التدريس أثناء قيامه بعملية التدريس"(٣).

والأسلوب جزء من الطريقة بالطبع، وهو الطريق العملي المؤدي إلى فهم المادة المعروضة، وتكمن أهميته في إنه يخلق التفاعل بين المعلم والمتعلم؛ فيحدث الإفهام، ولقد أولته التربية الحديثة كبير عناية؛ لما له من أهمية كبرى في

---

(١) ينظر: تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٢، ١٢.

(٢) ينظر: كتاب الجمل: ٢٤.

(٣) اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية: ١٤٣.

تحقيق الأهداف نحو فهم المادة المعروضة، وإقبال المتعلمين عليها، ومِن ثَم نجاح العملية التعليمية أو فشلها[١].

ولقد كان الخليل قوياً سهلاً في عرض مادته، فأقبل عليه تلاميذه ينهلون من علمه الفيّاض، وما سيبويه منّا ببعيد، هذا التلميذ النبيل الذي تلمذ على شيخه الخليل فبأسلوب الشيخ نمت وتكاملت شخصية التلميذ، فأدرك واستوعب علم شيخه ومفاهيمه وأفكاره، ليس بعين التقليد والمحاكاة، ولكن بعين الفحص والنقد، فأثمر لدى التلميذ كتاباً رائداً على مر الزمان، وإذ لم نستطع الجزم بأن سيبويه اطلع على كتاب الجمل فإنه بالجملة سمع ما تلاه الخليل عليه من مواد الكتاب بهذا الأسلوب الواضح الدقيق.

لقد كان النحو عند الخليل وسيلة تهدف إلى تمكين المتعلم من اللغة الفصحى الخالية من الأخطاء في شقيها التحريري والشفوي؛ ولذلك فقد اعتنى في تصنيفه بدراسة القواعد الأساسية بطريقة تطبيقية من خلال استدلاله بالشواهد التي تقرب المؤَلَّف إلى التصنيف الحديث في تطبيق القواعد بطريقة جاذبة للتشويق العلمي.

ولقد وعى الخليل طرق التدريس الحديثة في تصنيفه- وإن لم يصرح- هذه الطرق التي لا تنفصل عن المعلم أو المتعلِّم، وهي جزء من العملية التعليمية الشاملة والتي تحتوي: المعلم والمتعلم والأهداف والأساليب والمحتوى المقدَّم[٢].

وقد بدأ الخليل كتابه بالإثارة والتشويق لدفع التلميذ إلى التعلم والإقبال عليه بقوله عن الكتاب "استغنى عن كثير من كتب النحو" ثم نزع إلى تقسيم الموضوعات، وعرض الأفكار بطريقة منتظمة؛ ليغرس أفكاره في نفوس المتعلمين، فيكون لهم القدرة على نطق العربية نطقاً صحيحاً.

إن اسلوب التأليف الجيد، أو الأسلوب التدريسي بصفة عامة يشجع على الإبداع والقدرة على حل المشكلات، ويزرع ثقة المتعلم بنفسه، ويثير دافعية التعلّم والتفكير عنده، وتتجه التربية الحديثة إلى العناية بأساليب التدريس، وتهذيب

---

(١) السابق: ١٤٤.

(٢) ينظر: وسائل وطرق تدريس اللغة العربية والبحث عن منهجية حديثة، بحث للدكتور: أحمد عفيفي، المؤتمر الدولي العاشر حول مناهج تدريس اللغة العربية، جامعة كيرالا- الهند- ٢٠١٨، ٦٤.

أصوله وطرائقه في ضوء الأبحاث النفسية والتجارب التربوية، لما لها من أهمية في عملية التعلم(١).

وإذا كان الخليل واعياً لطريقة تصنيفه؛ للوصول إلى الغاية المقصودة لفهم التلميذ فقد تم هذا من خلال الإجراءات والطرق الآتية:

١) طريقة الإلقاء أو التلقين:

فقد كان يلقي على تلاميذه الدروس إلقاء تمثل هذا في كتاب الجمل خاصةً وكتاب العين بشكل آخر، فقد أراد تدريس اللغة على أساس من فقه اللغة وعلى أساس علمي، والطريقة العلمية نزعة فكرية عند الخليل طغت على تفكيره وبحوثه ودراساته، سواء أكان ذلك مما يتصل بالنحو أم باللغة(٢).

فَجَمْعُه للغة من أفواه العرب الخُلَّص قادته إلى تحليل الكلمات إلى أصوات، فنظر في خصائصها وعلاقة بعضها ببعض، أدى ذلك إلى تأسيس علم الأصوات، وما زال العلماء ينهلون منه حتى وقتنا هذا، ثم نظر في تراكيب الجمل، فكان علم النحو الذي تأسس على يديه، ومعاني الكلمات والصِيغ فكان علم الدلالة، ثم تحليل بنية الصيغ، فكان علم الصرف، ثم علم العروض... الخ مع ملاحظة أن هذه الطريقة بشكل عام هي أغلب الطرق المستخدمة لدى العلماء قديماً.

فنظرة إلى كتاب سيبويه نجد مسائل كثيرة من كتاب الجمل تلقفها هذا التلميذ من شيخه الجليل على أساس الإلقاء من الشيخ إلى تلميذه في حلقة الدرس(٣).

٢) الطريقة القياسية:

وهذه الطريقة يقصد بها العلماء الانتقال من الحقائق العامة إلى الحقائق الخاصة، أو الجزئية، أو من القانون العام إلى القانون الخاص، أو من الكلي إلى الجزئي، وهي إحدى طرق التفكير التي يسلكها العقل للوصول من المعلوم إلى المجهول، وهي طريقة سهلة لا تحتاج إلى مجهود عقلي كبير، وهي من أقدم

(١) ينظر: اتجاهات حديثة في تدريس اللغة: ١٤٥.

(٢) ينظر: الخليل بن أحمد أعماله: ٨٢.

(٣) ينظر: كتاب الجمل: ٣٨.

الطرق في تدريس النحو قديماً، ولعل الخليل يكون هو المؤسس لها من خلال كتاب الجمل[١].

فيبدأ الخليل بذكر وجوه النصب عامة وقد عدّها واحداً وخمسين وجهاً، وقد أجمل ذكرها، ثم أخذ يفصلها وجهاً وجهاً داعماً إياها بالأمثلة والشواهد المختلفة، فبدأ بنصب المفعول به حتى النصب من المصادر.

ثم ذكر وجوه الرفع مجملة، وهي عنده اثنان وعشرون وجهاً، ثم فصل القول في كل وجه، بدأ بالفاعل حتى الرفع بـ (هل) وأخواتها[٢].

ثم ذكر وجوه الخفض وعدّها تسعة وجوه مجملة، ثم فصلها، فبدأ بالخفض بعن وأخواتها وانتهاء بالخفض بالقسم[٣].

ثم ذكر وجوه الجزم وهي عنده اثنا عشر وجهاً ذكرها مجملة، ثم فصلها، فبدأ بالجزم بالأمر وانتهاء بالجزم بالحذف[٤] وهذا هو القسم الأول من الكتاب، ثم يأتي القسم الآخر من الكتاب وهو حروف المعاني بدأها بحرف الألف وانتهاء بحرف الياء، وفي كلٍ يذكر أنواع الحرف، واستخداماته وأخيراً ينهي الكتاب بالفرق بين (أم) و(أو). وقد مرّ أمثلة كثيرة لهذه الأوجه المختلفة للنصب أو الرفع... الخ فلا داعي لتكرار الأمثلة منعاً للإطالة.

ويجب القول إن الخليل كان دقيقاً في صياغة وجوه الإعراب، واضح الأسلوب، ولعل الخليل قصد من هذه الطريقة التشويق وسرعة إعطاء المعلومات واستمالة التلاميذ للوقوف على إعراب الجمل.

٣- الطريقة الاستقرائية:

وهي عكس الطريقة السابقة، وفيها ينتقل العقل من الخاص إلى العام. ومن الأمور الجزئية إلى القاعدة العامة التي تنتظم الجزء، ويتدرج فيها التلميذ لاكتشاف المعارف من الجزء إلى الكل، ونجد صدى هذه الطريقة في كتاب الجمل في أغلب صفحاته، فإن كان الخليل ذاكراً للوجوه عامة فهذا لم يكن قصده تحفيظ القواعد، وإنما هدفه استمالة التلميذ لما سيتلوه عليه، ثم يترك التلميذ لإعمال عقله وفكره لاستنتاج القاعدة والتي لم يصرح بها غالباً، اعتماداً على كثرة الشواهد

---

(١) ينظر: طرق تدريس اللغة العربية، د. أحمد عفيفي: ٦٥.

(٢) يقصد اسم الاستفهام نحو: أين وكيف، ينظر الجمل: ١٦٧.

(٣) ينظر: الجمل: ١٧٢.

(٤) ينظر: الجمل: ١٩٠.

والدلائل المقدمة للتلميذ فهو يعتمد على ذكاء تلاميذه فهو يريد مشاركتهم؛ حتى تصل إليهم المسألة بيسر، واستنباط القاعدة يريدها الخليل وسيلة لا غاية، وسيلة لفهم المسائل، ونطق التراكيب صحيحة، ليست غاية تُكتب فتحفظ ثم تُنسى، هذا لم يكن وكده.

فالخليل نفسه صاحب فكر علمي، وعنده قدرة على الإحاطة بالموضوعات التي يتناولها بالدرس ولم تكن طريقته هي الحفظ فقط، وإنما كان يستوعب كل ما يأخذه عن غيره، ويتمثل كل ذلك في نفسه فقد روى المبرّد عن الخليل أنه قال: "كن على مدارسة ما في قلبك أحرص منك على حفظ كتبك"(١).

الخليل قد أسس هذه الطريقة لينقل مسائله لتلاميذه، ونرى أنه رائد هذه الطريقة ما دام كتاب الجمل أول كتاب نحوي يصل إلى أيدينا قبل كتاب سيبويه.

ويمكن القول من خلال منهج المصنَّف: إن الخليل جمع بين الطريقتين السابقتين القياسية والاستقرائية في احترافية شديدة، وإن كانت الطريقة الاستقرائية هي الغالبة، والتي تتفق وطبيعة العقل، ويقبل عليها التلاميذ إقبالاً، كما يؤكد علماء التربية في العصر الحديث إن الطريقتين لا تستخدمان منفردتين، والسبب عندهم يكمن في أن الوصول للقاعدة العامة من خلال الاستقراء لا يكفل للتلاميذ فهمها حق الفهم، ولذلك يجب التطبيق على هذه القواعد بالطريقة القياسية المتممة للطريقة الاستقرائية(٢).

ومن أمثلة التداخل بين الطريقتين السابقتين في الجمل:

* عند حديث الخليل عن الرفع بالحكاية يذكر ابتداءً القاعدة، ثم يقدم الأمثلة والشواهد، يقول: "والرفع بالحكاية: كل شيء من القول فيه الحكاية فارفع، نحو قولك: قلتُ عبدُ الله صالحٌ وقلتُ الثوبُ ثوبُك"(٣).

* ويقول: "والرفع بالذي، ومَن، وما، فهذه أسماء ناقصة لابد لها من صلات، ويكون جوابها مرفوعاً أبداً، تقول: الذي ضرب عمرو زيدٌ، فـ (الذي) رفْع على الابتداء، و(ضرب) صلته، و(عمرو) رفع بفعله، و(زيد) رفع؛ لأنه خبر الابتداء"(٤).

---

(١) ينظر: الخليل بن أحمد، أعماله: ٥٨.

(٢) ينظر: طرق تدريس مواد اللغة العربية، إعداد: جامعة المدينة العالمية، ٢٠١١م، ١٠٥.

(٣) الجمل: ١٤٩.

(٤) الجمل: ١٥٧.

فالتداخل بين الطريقة القياسية والاستقرائية له مظهران: الأول: أن يذكر الخليل القاعدة العامة يجمل فيها وجوه الإعراب ثم ينتقل إلى مفرداتها وأجزائها وهذه عين القياسية، ثم إنه يذكر الوجه الإعرابي مدعوماً بالأمثلة والشواهد، وعلى الطالب إعمال فكره وعقله في استنباط القاعدة، أي الانتقال من الجزء إلى الكل، وهذه عين الاستقرائية.

والمظهر الآخر للتداخل: ذْكر بعض القواعد العامة صراحةً بعد عنوان المسألة محل المعالجة ثم يشرحها بالأمثلة والشواهد، وقد مثلنا لذلك.

وإذ نقول بأن منهج الخليل منهجاً استقرائياً في الغالب كما تمثَّل في كتاب الجمل، فهذا ما أكده الدكتور المخزومي بقوله: "وإذا أردنا أن نصور نهجه في دراسته بين المناهج التي حددت فيما بعد، فأقرب ما يكون إلى المنهج الاستقرائي"(١).

والخليل مؤسس هذا المنهج، فقد أكده الدكتور المخزومي بقوله: "فإذا أردنا تطبيق ذلك على أعمال الخليل، وطريقته في دراسته فسنجد أنفسنا أمام عمليات استقرائية إن لم يكن الاستقراء فيها منهجاً واضح الحدود موطد الأركان فإنها تحمل في مطاويها ملامح هذا المنهج"(٢).

(١) الخليل: أعماله ومنهجه: ٢٢٣.

(٢) الخليل: أعماله ومنهجه: ٢٢٤.

٤– الطريقة الحوارية:

اعتمد الخليل هذه الطريقة في بعض مسائله ليقطع حدّة جفاف المادة النحوية، ويخلق نوعاً من التفاعل مع تلاميذه، يطرح أفكاره ومسائله، ثم يعطي تلاميذه حرية التفكير والتعبير، وهو بدوره يساعدهم في إبراز أفكارهم وأطروحاتهم مع توجيههم، وإن لم يكن هذا صريحاً في كتاب الجمل، ولكنه يفهم من معالجة الخليل لموادّه. وتنسب هذه الطريقة إلى سقراط، وكان يستعملها مع غيره متظاهراً بالجهل؛ ليرشد التلميذ إلى الحقيقة، ولذلك تسمى الطريقة السقراطية، والغرض منها بث المعلومات في نفوس التلاميذ، وتعويدهم على البحث عن الحقيقة(١).

والخليل في جمله يبدأ هذا الحوار مع تلاميذه بقوله: تقول:

ومما جاء في كتاب الجمل: يقول الخليل: "والرفع بالنداء المفرد، تقول: يا زيد..." (٢).

"والرفع بخبر الصفة، تقول: لزيد مالٌ، ولمحمدٍ عقلٌ"(٣)، "والجزم بالدعاء، تقول: يا رب اغفرلنا"(٤)، "فإذا أمرت من (أخذ) قلت: خذ"(٥).

وإذا أمرت من (يأسِرُ) قلت: اِسِرْ"(٦)، "وتاء المخاطب المذكر نصْب أبداً، تقول: أنت خرجتَ"(٧).

واستخدام الخليل لهذه الطريقة في هذا الوقت المبكر يدل على ذكاء وقّاد لمفهوم المادة العلمية وحقائقها، وهو ما تنادي به التربية الحديثة من ضرورة التعليم النشط الذي يقوم بين المعلم والمتعلم، ولا يلقي بالحمل كله على كاهل المعلم وحده.

٥– طريقة المناقشة:

---

(١) ينظر: طرق تدريس مواد اللغة العربية: ١٠٨.

(٢) الجمل: ١٣٧.

(٣) الجمل: ١٣٩.

(٤) الجمل: ٢٠٦.

(٥) الجمل: ٢٢٩.

(٦) الجمل: ٢٣٠.

(٧) الجمل: ٢٧٨.

وتقوم هذه الطريقة أيضاً على الحوار حول قضية، أو مسألة، ودراستها دراسة منظمة؛ بهدف الوصول إلى رأي في هذه المسألة أو القضية، وتحتاج هذه الطريقة إلى معلم واعٍ وقادر على إدارة الحوار مع المتعلمين بطريقة منظمة ومنطقية، فيوجه التلاميذ عن طريق إثارة أذهانهم، وإبراز طرق التفكير السليمة لديهم، وخلق روح التفاعل بين المعلم وتلاميذه، وللمناقشة أنواع كثيرة أبرزتها التربية الحديثة، ومن أهمها والتي برزت في كتاب الجمل وكانت عند الخليل متكئاً؛ لإيصال موادّه، وهي المناقشة الاكتشافية الجدلية[1]، وتعتمد على طرح مجموعة من الأسئلة من قبل المعلم، تقود التلميذ إلى اكتشاف الصحيح من الأفكار في النهاية، وليس القصد إعطاء المعارف فحسب، لكن أهميتها تتعدى إلى إثارة العقل للبحث عن المعرفة، وكشف الحقائق، وهذا ما فعله الخليل أثناء معالجته لوجوه الإعراب، وورد هذا الأمر على هيئة ألغاز نحوية تتطلب الفكر وإعمال العقل للبحث عن الحقيقة.

ومن أمثلتها في كتاب الجمل:

يتحدث الخليل عن الرفع بخبر (إنّ) ويستشهد بهذا الشاهد الشعري وهو لُغز، يقول:

"وأما قول الآخر:

إن فيها أخيك وابنَ هشامٍ وعليها أخيِكَ والمُخْتارا

هذا لغز، يريد: أخي كوى من الكي بالنار"[2].

وكان ينبغي أن يكتب البيت كما يلي؛ حتى يستقيم المعنى والإعراب:

إن فيها أخي كوى ابن هشام وعليها أخي كوى المختارا[3]

* ويقول في معرض حديثه عن نداء المفرد:

"وأما قول الآخر:

* يا خالِدِ المقتُولَ، لا تُقتَلِ*.

هو لغز، يريد: يا خالِ، دِ المقتول، من الدِّيَة"[4].

---

(١) ينظر: طرق تدريس اللغة العربية، د. أحمد عفيفي: ٦٦.

(٢) الجمل: ١٣١.

(٣) ينظر: كتاب الجمل: ٢٩.

(٤) الجمل: ١٣٩.

وهناك نوع آخر من المناقشة أراد به الخليل توجيه التلاميذ وجهة محددة نحو مسألة من المسائل وهذا النوع قائم على الحوار بالطبع، وهو نوع فيه استثارة للتلاميذ، وتحفيزهم نحو فهم وقبول المسائل، ومن ذلك قول الخليل في توجيه الطلاب نحو الفرق بين (أم)، و(أو)،: "اعلم أنّ (أم) استفهام على مُعَادَلة الألف بمعنى (أيّ) أو الانقطاع عنه، وليس كذلك (أو)؛ لأنه لا يُستفهم بها وإنما أصلها أن تكون لأحد الشيئين"[١] ثم أخذ الخليل يناقش المسألة داعماً قوله بأمثلته التي ملأت المصنّف، ومعلّلاً لأقواله، ومستشهداً بالقرآن الكريم ومختتما كلامه بقوله: الله أعلم، وجاء عرضه بلغة واضحة، ودقيقة ومحددة، تدلّ على معلم ضالع في التدريس والإفهام.

على أن هذه الطريقة– المناقشة– تتشابه بل تتداخل مع طريقة حل المشكلات التي تقوم في الأساس على اكتساب التلاميذ مجموعة من الأفكار والمعارف والمهارات العملية، وأعني بها هنا الغاية من كتاب الجمل عامة وهي وصول المتعلم إلى التمكن من لغته ونطقها نطقاً صحيحاً.

وبالجملة يمكن القول:

١– إن الخليل استخدم طرقاً عدّة للوصول لأهدافه التعليمية، وهي إيصال مواده ومحاولة فهمها، وهذه الطرق المستخدمة متداخلة ومتشابكة، وأن سيطرت على المصنَّف الطريقة الاستقرائية. وتداخل الطرق في مجال النحو خاصة واللغة عامة، جعل الاتجاهات الحديثة في التدريس ترفض تفضيل طريقة معينة على طريقة أخرى، فليس هناك طريقة مقبولة كلية وأخرى مرفوضة تماماً، فكل الطرائق صالحة للتدريس في نوع معين من المعرفة[٢].

٢– يقول الخليل:

النحو بحرٌ ليس يُدرك قَعْرُه ... وعرُ السبيل عيونه لا تنضُبُ

فاقصد إذا ما عُمتَ في أذيّه ... فالقصد أبلغ في الأمور وأذرب

(١) الجمل: ٣٢١.

(٢) ينظر: اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية: ٦٤.

فالخليل يشير إلى وعورة طريق النحو، وعلى من يقترب منه الحذر في تناوله، وأن يأخذ منه المتلقي القدر المناسب تدريجياً، وهذه سمة المعلم الحقيقي أن يكون مرشداً لطلابه في كيفية تناول القواعد لا أن يقدمها له فقط[1].

(١) ينظر: المنظومة النحوي، للخليل بن أحمد، ت: د. أحمد عفيفي، وزارة التراث القومي والثقافة – سلطنة عُمان، ط١، ٢٠٠٠م، ٥٤.

نتائج البحث

بعد هذا التطواف حول كتاب الجمل نخلص إلى جملة من النتائج:

١– الخليل بن أحمد أدرك قيمة التعليم صغيراً فعكف عليه، محباً له، ولازمه دون انقطاع.

٢– اتضح من البحث عبقرية الخليل في مجال التعليم، فكان معلماً ومربياً بمفهوم التربية الحديثة.

٣– وضع الخليل من خلال الجمل مفهوماً للنحو التعليمي الذي يراعي قدرات وأحوال المتعلمين، اقترب إلى حد كبير للنظريات الحديثة في التربية والتعليم، فكان النحو عنده وسيلة لفهم اللغة وممارستها ممارسة صحيحة.

٤– الخليل مؤسس للنحو العربي من خلال الجمل أول مُصَنَّف يصل إلينا في النحو.

٥– الخليل رأس المدارس النحوية كلها، ومن علمه وثقافته نهل أصحاب تلك المدارس.

٦– جُلّ المصطلحات النحوية التي استقرت في الدرس النحوي هي من عمل الخليل.

٧– الأصول النحوية عند الخليل: السماع، والقياس، والتعليل، كان الهدف منها تعليمياً؛ لإيصال المنهج النحوي في ثوب تعليمي بعيداً عن الفلسفة والتعقيد والجدل.

٨– اتبع الخليل في عرض مواده طرائق تعليمية شتى– وإن لم يصرح بها– أقرّتها النظريات العلمية الحديثة.

٩– بهذا المنهج الذي خطّه الخليل في الجمل سبق العلماء القدامى والمحدثين في تيسير النحو على الدارسين.

المصادر والمراجع

١- ابن الأنباري وجهوده في النحو، د. جميل إبراهيم، رسالة دكتوراه، جامعة القديس يوسف- بيروت، ١٩٧٧م.

٢- أبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النحو واللغة، د. أحمد مكي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون ١٩٦٤م.

٣- اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، د. سعد علي زاير، ود. سماء تركي، الدار المنهجية للنشر، ط١، ٢٠١٥م.

٤- أخبار النحويين البصريين، للسيرافي (ت ٣٦٨هـ)، ت. طه الزيني، ومحمد خفاجة، مطبعة مصطفى الحلبي، ط١، ١٩٥٥م.

٥- الاستشهاد بالقرآن في كتاب سيبويه، د. محمد إبراهيم عبادة، بلنسية للنشر، ط١، ٢٠٠٨م.

٦- الاقتراح في أصول النحو، للسيوطي، دار البيروني، ط٢، ٢٠٠٦م.

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، للبيضاوي (ت ٦٩١هـ)، إعداد: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

٨- أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، لابن هشام (ت ٧٦١هـ)، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- بيروت.

٩- الإيضاح في علل النحو، للزجاجي (ت ٣٣٧هـ) ت. د. مازن المبارك، دار النفائس، ط٣، ١٩٧٩م.

١٠- بغية الوعاة للسيوطي، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، ط١، ١٩٦٥م.

١١- تفسير البحر المحيط، لأبي حيّان، ت. الشيخ: عادل عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

١٢- تفسير الكشاف، للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، اعتنى به/ خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

١٣- تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٢.

١٤- الجمل في النحو، الخليل بن أحمد، ت. د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٥م.

١٥- الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه، د. مهدى المخزومي، مطبعة الزهراء- بغداد، ١٩٦٠م.
١٦- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العالم العبقري، د. محمد بن صالح، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٥م.
١٧- ديوان الأحوص الأنصاري، ت. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.
١٨- ديوان الأعشي الكبير (ميمون بن قيس)، شرح: د. محمد حسين – مكتبة الآداب.
١٩- ديوان العجاج، ت. عبد الحفيظ السطلي، أطلس- دمشق.
٢٠- ديوان الكميت الأسدي، ت. محمد نبيل طريفي، دار صادر- بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٢١- ديوان النابغة الجعدي، ت. د. واضح الصمد، دار صادر- بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٢٢- ديوان النابغة الذبياني، شرح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.
٢٣- ديوان ذي الرمة، ت. أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
٢٤- ديوان رؤبة بن العجاج، ت. وليم بن الورد، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٩٩٦م.
٢٥- ديوان جرير – تعليق: كرم البستاني، دار بيروت – بيروت، ١٩٨٦.
٢٦- ديوان كثير عزة، ت. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.
٢٧- رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقي (ت ٧٠٢هـ) ت. أحمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق.
٢٨- سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، عالم الكتب، ط٢، ١٩٧٩م.
٢٩- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، جامعة الكويت ١٩٧٤م.
٣٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن عماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، ت. عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٣١- الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه: عرض وتوجيه وتوثيق، أ. د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٢م.
٣٢- ضحى الإسلام، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي.
٣٣- طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي (ت ٣٧٩هـ)، ت. محمد أبو الفضل، دار المعارف، ط٢.
٣٤- طبقات فحول الشعراء، لابن سلّام (ت ٢٣١هـ)، ت. محمود شاكر، ١٩٧٤م.
٣٥- طرق تدريس مواد اللغة العربية، إعداد: جامعة المدينة العالمية، ٢٠١١م.
٣٦- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، د. أحمد سليمان، دار المعرفة- إسكندرية، ١٩٩٤م.
٣٧- علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.
٣٨- العمدة في صناعة الشعر ونقده، لابن رشيق (ت ٤٦٣هـ) ت. السيد محمد كامل، مطبعة السعادة، ط١، ١٩٠٧م.
٣٩- في أصول النحو: سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م.
٤٠- قصة عبقري، يوسف العش، دار المعارف..
٤١- كتاب الجمل في النحو: المنسوب للخليل بن أحمد، دراسة تحليلية، د. محمد إبراهيم عبادة، منشأة المعارف- الإسكندرية، ١٩٨٧م.
٤٢- اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة، ١٩٩٩م.
٤٣- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، ١٩٩٤م.
٤٤- اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، عالم الكتب، ٢٠٠١م.
٤٥- اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، دار المعارف، ١٩٦٦م.
٤٦- لمع الأدلة في أصول النحو، لابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ). ت. سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧م.
٤٧- المدارس النحوية، د. خديجة الحديثي، دار الأمل- الأردن، ط٣، ٢٠٠١م.
٤٨- المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٧.
٤٩- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٥٨م.

٥٠- مراتب النحويين، لأبي الطيب (ت ٣٥١هـ)، ت. محمد أبو الفضل، مكتبة نهضة مصر.
٥١- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، شرحه: محمد جاد المولى وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت.
٥٢- المصطلح النحوي: نشأته وتطوره حتى أواخر ق ٣هـ، د. عوض بن حمد القوزي، جامعة الرياض، ط١، ١٩٨١م.
٥٣- معاني القرآن، للفرّاء، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٣م.
٥٤- معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، ت/ د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م.
٥٥- معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ود. عبد العال سالم، جامعة الكويت، ١٩٩١م.
٥٦- معجم المصطلحات في كتاب العين، أ. د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، ٢٠٢٠م.
٥٧- معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، أ.د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، ط٥، ٢٠٢٠م.
٥٨- المفضليات، ت. أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، ط٦.
٥٩- المنظومة النحوية للخليل بن أحمد، ت: د. أحمد عفيفي، وزارة التراث القومي والثقافة – سلطنة عُمان، ط١، ٢٠٠٠م.
٦٠- نحو الخليل من خلال كتاب العين (رسالة ماجستير)، رافد يوسف، جامعة بابل، ٢٠٠٣م.
٦١- النحو العربي: أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه، أ. د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، ط٢، ٢٠١٦.
٦٢- وسائل وطرق تدريس اللغة العربية والبحث عن منهجية حديثة، بحث: د. أحمد عفيفي، المؤتمر الدولي العاشر حول مناهج تدريس اللغة العربية، جامعة كيرالا – الهند، ٢٠١٨.
٦٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلّكان (ت: ٥٦٨١)، ت. د/ إحسان عباس، دار صادر- بيروت.

* * *